المقتطف

الجزء السادس من المجلد السادس والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٤ صفر سنة ١٣١٩

الكونت تولستوي الروسي

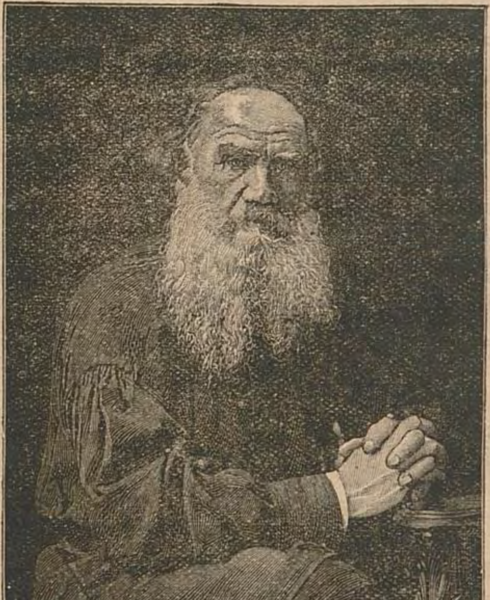

هذا عنوان مقالة نشرناها عن الكونت تولستوي في الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر من المقتطف الصادر في غرة يناير سنة ١٨٨٨ لخصنا فيها خبر زيارة زارهُ اياها كاتب اميركي شهير اسمهُ جورج كنَنان . ولم يكن اسم تولستوي مشهورًا في هذه الديار فاوجزنا المقال على قدر الامكان لقلة مَن كان يعنى بهِ حينئذٍ . اما وقد كثر ذكرهُ الآن في التلغرافات

السياسية والصحف اليومية ولا سيما بعد ان حرمتهُ الكنيسة الروسية وخيف من استفحال الثورة في بلاد الروس بسببهِ فرأَينا ان نعود الى حديث المستر كنان فنثبتهُ برمتهِ ونضيف اليهِ ما نتم بهِ الفائدة من اقوال كبار الكتاب حتى يرى القارىءُ من هو الكونت تولستوي وكيف يعيش وكيف يفتكر لا سيما وان لهُ سلطة لا مثيل لها على عقول الملايين من شعوب الروس ولأَنهُ يعد في الطبقة الاولى بين كتَّاب هذا العصر . قال المستر كنان :

زرت الكاتب الروسي الكونت ليو تولستوي في اواخر شهر يونيو سنة ١٨٨٦ عزمت على زيارتهِ قبل ذلك بنحو سنة من الزمان وانا في مناجم سيبيريا واعدًا بذلك جمهورًا من مريديهِ الذين حُكم عليهم بالاشغال الشاقَّة مدى العمر في تلك المناجم . وكنت قد سُئلت ان احمل نسخةً من روايتهِ المعروفة "بالاعتراف" الى سيدة حُكم عليها بالاشغال الشاقة اثنتي عشرة سنة لذنب سياسي . والرواية ممنوعة من بلاد الروس والنسخة المشار اليها مخطوطة خطًّا ولا ادري كيف سلمت من عيون الرقباء ووصلت الى شرقي سيبيريا حيث أُتمنتُ عليها. والمراقبة شديدة في بلاد الروس على الكتب الممنوعة فيفتش رجال الحكومة كل صندوق وسفط ومتاع فوصول هذه النسخة الى شرقي البلاد دليل قاطع على ان المراقبة لا تجدي نفعًا ولا تصدُّ الافكار الحرَّة عن الانتشار ما دامت النفوس متشوقة اليها وان الحكومة تعجز عن منع ما تأبى انتشارهُ حتى بين الذين في سجونها لان النسخة المشار اليها سارت في بلاد الروس خمسة آلاف ميل رغمًا عن انفها

اخذت هذه النسخة وفي اقل من ثلاثة اشهر تعرفت بالسيدة التي أُرسلت اليها وبغيرها من المنفيين الى سيبيريا وهم اما من معارف الكونت تولستوي واصدقائهِ او من الذين كانوا يكاتبونهُ . وقد رغبوا اليَّ كلهم ان ازورهُ بعد عودتي الى اوربا واصف لهُ احوالهم وما يعانيهِ المنفيون الى تلك الاصقاع الشاسعة المحكوم عليهم بالاشغال الشاقَّة فيها لجرائم سياسية أُخذوا بها. وظهر لي انهم كانوا يحسبونهُ من المهتمين بامرهم القائلين بقولهم بناءً على ما رأَوهُ من منع الحكومة لكتبهِ وحسبوا انهُ اذا وُصفت لهُ حالهم زاد جرأَة على التنديد بالحكومة والضرب على يدها واثار افكار الجمهور عليها وانقلب من النصح والانذار الى التعيير والتهديد بل الى المقاومة الفعلية . لكنهم كانوا في خطاءٍ مبين من هذا القبيل لانهم لو رأَوا كتبهُ الحديثة وطالعوها لعلموا انها انما حُرمت ومنعت لما فيها مما ينكرهُ عليهِ رجال الدين لا ما ينكرهُ عليهِ رجال السياسة. وان اساس معتقدهِ وفلسفتهِ ان لا يُقاوَم الشر بالشر. ولما طلبوا اليَّ ان اصف لهُ ما رأَيتهُ من سوء الادارة في سيبيريا وكيف يمتهن المنفيون فيها قصُّوا عليَّ قصة الصوم الذي يلجأُ اليهِ المنفيون احيانًا فيمتنعون عن الطعام الى ان يموتوا او يخفِّف رجال الحكومة عذابهم

واعطوني رسالة يوصف فيها ما حلَّ باربع نساء من المنفيات الى سجن اركوتسك احداهنَّ اخت العالم ڤورنتسوف وكلهنَّ من المتعلمات المتهذبات وطلبوا مني ان احمل هذه الرسالة الى الكونت تولستوي ومن ثمَّ عزمت على زيارتهِ كما تقدَّم

ومرَّت الشهور قبلما تيسرت لي العودة الى موسكو فلما وصلتُها بلغني ان الكونت غادرها ومضى الى املاكهِ قرب مدينة تولاحيث يصطاف فمضيت اليها ولما نزلت في محطة سكة الحديد ناديت سائق مركبة وقلتُ لهُ اتعرف الكونت تولستوي فتبسم وابرقت اسرتهُ وقال كيف لا اعرفهُ ومن لا يعرفهُ في هذا المكان وهو في يسنايا بوليانا الآن ولا يبعد بيتهُ عنا سوى خمسة عشر فرستاً (١)

فقلت لهُ وهل في يسنايا بوليانا فندق انزل فيهِ . فقال كلاَّ ولكن مالك وللفندق لماذا لا تنزل عند الكونت فانهُ رجل مضياف انيس المحضر يشتغل في ارضهِ مثل عامة الناس ويسرُّ بنزولك عليهِ ضيفاً

فحرت في امري لانني لم استسهل الذهاب اليهِ طالباً النزول في بيتهِ ولكنني لم اجد سبيلاً آخر فقلت هي الضرورة حكمت بذلك وللضرورات احكام

وركبت المركبة وكانت الساعة العاشرة وسار بي السائق وقد هبَّ نسيم الصباح فعطَّر الارجاء حتى اذا بلغنا قنة رابية وراء المدينة اطللت على ما حولي من الآكام الخضراء والحراج المحدقة بها وما يليها من الاودية والقرى المنتشرة فيها ولم ارَ في الارض سوراً ولا سياجاً يفصل بين الحقول وكانت الازهار منتشرة على جانبي الطريق من الاقحوان والشقيق والخردل البري وازهار النفل تعطر الهواء بأريجها والفراش يتطاير بينها كانهُ سكر من رائحة اريجها قبل ان يهتدي اليها . وهنا وهنالك رجال من الفلاَّحين جالسين على الارض يكسرون الحصى لرصف الطريق ونساء مشمرات الذيول راجعات من المدينة بما ابتعنهُ منها وقد وضعنهُ في اكياس على اكتافهنَّ . ولما صرنا على نحو عشرة فرستات من تولا اذا نحن بمنظر تمتاز بهِ بلاد الروس على غيرها سِرب من النساء جالسات الى جانب الطريق تحت شجرات باسقات يأكلنَ خبزهنَّ الاسمر وقد اضرمنَ النار وصنعنَ الشاي اداماً وشراباً منعشاً لقواهنَّ فلما وصلنا اليهنَّ نهضنَ وتناولنَ عصيهنَّ وربطنَ اباريق الشاي وفناجينهُ بمناطقهنَّ ووضعنَ اكياسهنَّ على اكتافهنَّ ومشينَ امامنا وفي اقدامهنَّ خفاف مصنوعة من العيدان وقد علا الغبار ثيابهنَّ وهنَّ قاصدات الزيارة الى دير ترواتسكاي على ٤٥ ميلاً من موسكو وقد قصدنهُ من بلاد شاسعة ولهنَّ اسابيع يسرنَ ماشيات لا يخلعن ثيابهنَّ ولا ينمنَ في فراش ولا يأكلنَ غير الطعام السخيف يبللهنَّ

---

(١) الفرست الميل الروسي وهو ٣٥٠٠ قدم او نحو ثلثي الميل الانكليزي

المطر و يشويهنَّ الهجير الى ان يصلنَ الى الدير و يعفّرن وجوههنَّ بارضهِ و يشربنَ من ماء بئرهِ . وترى فرق الزوار في شهري يونيو ويوليو في كل بلاد الروس قاصدةً ديرًا من الاديرة او مزارًا من المزارات أو ضاربة الى ما هو ابعد من ذلك الى بيت المقدس في بلاد الشام

واشتدَّ الحرُّ وكانت الطريق بيضاء فانعكس الوهج عنها وكاد يبهر عينيَّ وبينما انا افكر ان اسأل السائق عما اذا كنَّا لا نزال بعيدين عن دار الكونت دار بالمركبة في طريق جانبي يمرُّ في الحراج وقال " نا كونتس ديخلي " اي عدنا وصلنا . فالتفت الى ما حولي وانا اتوقع ان ارى قصرًا فخيمًا يليق باشهر كتَّاب الروس وبامير غني من امرائهم فلم ارَ الاَّ اكواخًا حقيرة على نحو ميل من الطريق فقلت لهُ اين دار الكونت فقال هناك في وسط الغاب ولا تستطيع ان تراها الاَّ حينما تصل اليها وهوذا باب الروض . فالتفتُّ واذا عمودان قديمان من الاجر وهما قائمتا الباب وعلى مقربة منهما اثار بركة قديمة ولا شيء آخر يدل على اننا بلغنا روضًا يخص رجلاً من الاغنياء . وكانت الاعشاب نامية تحت الاشجار دليل الاهمال . ولم نكد نسير مئتي متر حتى دارت بنا الطريق الى اليمن ووقفت المركبة بغتةً امام بيت ساذج البناء ابيض الجدران فيهِ طبقتان تحيط بهِ الاشجار لا تراهُ اذا ابعدتَ عنهُ اكثر من ثلاثين او اربعين مترًا . و يصعب على المرء ان يتصوَّر بيتًا ابسط منهُ لا شرفات لهُ ولا اروقة ولا افاريز ولا شيءَ من زخارف البناء . بابهُ بسيط جدًّا لم احسبهُ مدخل البيت بل بابًا سريًّا لصغرهِ فلم اجسر على قرعهِ لئلاَّ يكون باب المطبخ وامامهُ ساحة ممهَّدة للعب والى جانبها مقعد عليهِ سيدة جالسة تقرأُ وعلى رأسها برنيطة كبيرة كالمظلة تقيها من الشمس فمضيت اليها وبدأت بالاعتذار لانني اقلقتها ثم سألتها عما اذا كان الكونت في البيت فقالت اظنهُ في البيت وطلبت مني ان اتبعها فدخلت من هذا الباب الى غرفة صغيرة واوعزت اليَّ ان اجلس فيها ودارت الى باب آخر ونادت الكونت باللغة الانكليزية قائلة أَانتَ هنا فاجابها نعم . فقالت هنا خواجه (جنتلمان) يريد ان يراك . قالت ذلك وخرجت وعادت الى الساحة وجلست حيث كانت جالسة . وللحال سمعت صوت كرسي يحرَّك وتقدَّم الكونت ووقف في الباب بين غرفتهِ والغرفة التي كنت فيها . وقد سمعت كثيرًا عن انهُ يلبس على غاية السذاجة ورأيت صورًا فوتوغرافية من صورهِ وهو بثياب الفلاحين ولذلك لم اكن انتظر ان ارى رجلاً بثياب فاخرة الاَّ اني لم انتظر ان اراهُ في الحالة التي رأَيتها فيها حينئذٍ

كان الحرُّ شديدًا في ذلك اليوم والظاهر انهُ عاد حينئذٍ من الحقول والعمل فيها بثيابهِ التي قابلني بها وهي سراويل واسع مما يلبسهُ فلاَّحو الروس وقميص ابيض لا طوق لهُ وهذا كل ما كان على بدنهِ . وهو طويل القامة غليظ العضل لوَّحت الشمس وجههُ وطال شعرهُ ففرقهُ

من بين عينيهِ كالنساء . تدلُّ هيئتهُ على القوة والاستقلال والاعتماد على النفس ولا يلوح على وجههِ انهُ من رجال العلم والفلسفة بل انهُ من رجال الاعمال اهل العزيمة والحزم الذين يقتحمون المخاطر و يخوضون الاهوال غير متحسبين للعواقب . عيناهُ صغيرتان براقتان تحت حاجبين كثين وانفهُ كبير واسع المنخرين وشفتاهُ غليظتان منطبقتان . وما يظهر من وجههِ وذقنهِ تحت لحيتهِ الطويلة يدل على القوَّة والرجولية

قال تولستوي في احد كتبهِ ان امهُ اضطرت وهو في السادسة من عمرهِ ان تعترف بانهُ قبيح المنظر ثم قال " تخطر ببالي حينئذٍ ان الشخص الذي انفهُ واسع مثل انفي وشفتاهُ غليظتان مثل شفتيَّ وعيناهُ صغيرتان مثل عينيَّ لا لذَّة لهُ في الحياة وطلبتُ من الله ان يصنع اعجوبةً ويجعلني جميل المنظر فأُعطي كل ما املكهُ وما يمكن ان املكهُ بدل وجه جميل " . ولكن في وجههِ كما بان لي حينئذٍ شيئًا افضل واسمى من الحسن الظاهر وهو القوة الادبية والعقلية والطبيعية فان هذه القوى الثلاث تلوح عليهِ مرتسمةً فيهِ

وقف في الباب امامي كانهُ لم ينتظر ان يرى رجلاً غريبًا ولكن لم يطل وقوفهُ بل تقدَّم اليَّ حالاً ويداهُ مبسوطتان ولم اكد اخبرهُ من انا حتى رحَّب بي وبشَّ في وجهي وهشَّ وقال انهُ مسرور جدًّا بزيارتي لهُ ولاسيما لانني اميركي. فقلت لهُ اني زرتهُ انجازًا لوعد وعدتُ بهِ بعض اصدقائهِ ومريديهِ في سيبيريا ورغبة في مشاهدة الرجل الذي طالعتُ كتبهُ فسررت بها جدًّا

فقال واي الكتب طالعت من كتبي . فقلت كل رواياتك كالحرب والسلم وحنة كرانينا والقوزاق . فقال أرأيت شيئًا من كتبي الحديثة . فقلت كلاَّ لانها نشرت بعد ذهابي الى سيبيريا . فقال اذًا لا تعرفني ولكن لا باس سأُعرفك بنفسي

وحينئذٍ دخل سائق المركبة الذي جاء بي دخل بثيابهِ الرثة فلما وقعت عين الكونت عليهِ نهض وصافحهُ كما صافحني كانهُ من اعز اصدقائهِ وسألهُ مسائل شتى عن اهلهِ وعن مدينة تولا وما فيها من الاخبار . ولم اكن عارفًا حينئذٍ بآرائهِ الاجتماعية فاستغربت جدًّا ان ارى اميرًا روسيًّا غنيًّا وكاتبًا من اشهر كتَّاب الارض يرحب بسائق مسكين ويحادثهُ كانهُ احد اصدقائهِ لكن هذا الحادث كان بداءة حوادث كثيرة ادهشتني وجعلت زيارتي لهُ مما لا يبرح تذكارهُ من ذهني . وسألهُ السائق ايضًا عن سلامة الكونتس زوجتهِ وسلامة اولادهِ وانصرف فالتفت اليَّ بعد انصرافهِ وطلب ان اعذرهُ لحظة ثم دخل الغرفة التي خرج منها

والغرفة التي كنت فيها صغيرة حائطان من حيطانها الاربعة ابيضان مشيدان بالجبس وفي الحائط الثالث فرن يغطيهِ الاجر المدهون والرابع حاجز من الخشب الابيض يفصل بينها

وبين غرفة الكونت وفيهِ الباب الذي خرج منهُ وليس فيها سوى ثلاثة كراسي ومعقد قديم مغطى بالجلد ومائدة صغيرة لا غطاء عليها وفي الحائط ثلاثة قرون من قرون الايائل على احدها برنيطة وقميص ابيض وفي زاوية وراء المعقد تمثال نصفيٌّ من المرمر وفي الغرفة ايضاً صورتان لدكنس وشكسبير من الصور المطبوعة طبعاً فليس فيها شيءٌ من دلائل الثروة

وعاد الكونت قبلما وسعني الوقت لامعن نظري في ما حولي وهو يتمنطق بمنطقة سوداء فوق رداءٍ رمادي ارتدى بهِ حينئذٍ وجلس اليَّ وجعلَ يسألني عن سياحتي في سيبيريا فاخذت اصف لهُ حال الولاة في تلك البلاد وما يقاسيهِ المنفيون اليها من الشدائد فاصغى اليَّ ولكنهُ لم يبدِ الاستغراب مما كنت اقصُّهُ عليهِ كانهُ اعتاد سماع امثالهِ بل حدثني هو ايضاً بمثل الاحاديث التي قصصتها عليهِ مما يدل على انهُ كان عارفاً بما يجري في سيبيريا من افعال الظلم والجور والقسوة البربرية وقد ارتأى فيها رأياً لا يحول عنهُ فسألتهُ عما اذا كان لا يستحل مقاومة مثل هذه المظالم

فقال ان ذلك يتوقف على ما تعني بالمقاومة فاذا عنيت بها المقاومة الادبية مثل الحث على الرفق بالرعايا واظهار عاقبة الجور فهذه المقاومة محللة عندي واذا عنيتَ بالمقاومة اخذ الامور بالشدَّة والعنف اي مقاومة الشر بالشر فهذا ليس من رأيي في حال من الاحوال

ثم ابان ما يرتئيهِ من واجبات الانسان كعضو من اعضاء المجتمع الانساني على ما ذكرها في كتابهِ المعنون "ديانتي" وفي غيرهِ من الكتب والرسائل التي الفها ونشرها حديثاً. واسهب في الكلام على ان الشر لا يقاوَم بالشر وكان كلامهُ فصيحاً بليغاً وحجتهُ واضحة دامغة وقال اننا اذا استعملنا العنف لمقاومة الظلم لم نستفد شيئاً بل زدنا المظالم لان العنف نفسهُ نوع من الظلم وهؤلاء المنفيون الذين ذكرتهم لي قد قاوموا الشر بالشر فكانت نتيجة مقاومتهم الفشل واراقة الدماء واتساع نطاق الشر والبغض والشقاء فلم تزل الشرور التي قصدوا ازالتها بل اضيفت اليها شرور اخرى لم تكن موجودة وما هذا بالسبيل لانتشار ملكوت الله في الارض

ولا اتذكر الآن كل الادلة والحجج التي ذكرها وعزَّز بها رأيهُ ولكنني اتذكر جيدًا انهُ كان يكلمني ببلاغة نادرة المثال واقوال تدل على اقتناع قائلها بها فاثَّر ذلك في نفسي تأثيرًا عميقًا . ولم تكن هذه الآراء جديدة عندي بل قد اعتدت سماعها واستماع ادلة اصحابها في بطرس برج وموسكو وتفر وقازان ولكنها لم تؤثر في نفسي كما اثَّرت حينئذٍ حينما فاه بها وايدها بكل دلائل الاقناع وكان وجههُ وعيناهُ اكبر مؤيد لها

واصغيت الى كلامهِ مدةً من غير اعتراض واخيرًا اردت ان اتخلص من سلطة منطقهِ فاخذت اسألهُ مسائل تضطرهُ الى التخصيص بعد هذا التعميم فانهُ يسهل على المرء ان يقول

بنوع عام لا تقاوموا الشر بالشر ولكن اذا قلتَ لهُ ما قولكَ لو رأيت رجلاً هجم على امك والسكين في يدهِ ويكاد يذبحها بها أ كنت تتركهُ لكي لا تقاوم الشر بالشر لغيَّر رأيهُ او نوَّعهُ اما الكونت فلم يغير رأيهُ بل بقي يقول قولاً واحداً . وقصصتُ عليهِ قصصاً كثيرة مما بلغني عن افعال الجور والقسوة والتوحُّش في سيبيريا وكنت اقول لهُ في آخر كل قصة لو شاهدتَ هذا الامر بنفسك ايها الكونت اما كنت تقاومهُ بالعنف فكان يجيب كلاَّ . فقلتُ لهُ لو رأيتَ لصًّا عامدًا الى قتل رجل بريء ولم ترَ سبيلا لخلاص الرجل الاَّ بقتل اللص أفما كنت تقتلهُ . فقال لو رأيت دبًّا هاجمًا على رجل لافتراسهِ لما تأخرت لحظة عن قتل الدب واما الانسان فلا يحلُّ لي قتلهُ . وحينئذٍ حضرتني القصة الآتية وهي ليست افظع من غيرها من القصص التي سردتها لهُ ولكن فيها ما يثير الشهامة والنخوة فقلت لهُ

منذ اربع سنوات اتُّهمتْ فتاة روسية بانها اشتركت في ثورة على الدولة وكانت من المتعلمات المتهذبات العائشات بالراحة والترفُّه . فأُلقي القبض عليها وطُرِحت في السجن سنة من الزمان ثم حُكم عليها بالنفي فقيدت مع كثيرين من المحكوم عليهم بالنفي رجالاً ونساء الى شرقي سيبيريا . وانت تعلم مقدار ما قاستهُ مدة سفرها في مركبة مشحونة بالهوام والاقذار ومعها نفر من الجند وهي مضطرة ان تقضي حاجات الطبيعة على مرأًى منهم يومًا بعد يوم وشهرًا بعد آخر . ولما بلغوا بها مدينة كراسنويارسك طلب منها والي المدينة ان تخلع ثيابها وتلبس ثياب المجرمين فابت بناء على ان المنفيين لاسباب سياسية لا يُجبرون على لبس ثياب المجرمين والاَّ لكانت أُجبرت على لبس هذه الثياب من بداءة سفرها من موسكو . فابى الوالي الاَّ ان تخلع ثيابها وتلبس ثياب المجرمين واصرَّت هي على الرفض لاسباب لا اعلمها ولكن هب ان ليس لها سبب آخر الاَّ قذارة تلك الثياب وما فيها من القمل لكفى بها سببًا لرفضها فامر الوالي الجنود ان يجردوها من ثيابها غصبًا . فجعل الجنود يجردونها وهي تمانعهم وتنادي وتستغيث ولا مجيب ولا مغيث حتى تجرَّح بدنها وتضرَّجت بالدماء وفي الآخر تغلبوا عليها وجردوها من ثيابها كلها والبسوها ثوب المجرمين . فهب ايها الكونت انك كنت في ذلك المحضر وهذه الفتاة العفيفة الطاهرة تبكي وتستغيث بك وتطرح نفسها على قدميك والجنود القساة يجردونها من ثيابها بالقوة والعنف حتى وقفت بينهم عارية لا يغطي بدنها غير دمها ودموعها بل هبْ انها ابنتك وقد عوملت هذه المعاملة الفظيعة أفما كنت تغيثها ولو اضطررت الى استعمال السلاح

فسكت والدموع ملء عينيهِ كانهُ يرى تلك الفتاة تبكي وتستغيث بهِ ولا قدرة لهُ على اغاثتها . ثم قال أتعلم يقينًا ان هذه الحادثة حدثت كما رويتها لي . فقلت انني لم اشاهدها

بعيني ولكنني سمعت وصفها من شاهدين عدلين من الذين شاهدوها . فصمت برهةً ثم قال وفي هذه الحال ايضاً لا ارى وجهاً لاستعمال القوة . هب ان الوالي الذي امر بتجريد هذه الفتاة شرس الطباع فاسد الاخلاق أفلا ترجح انهُ كان يظن انهُ عاملٌ بامر الحكومة المكلف بطاعتها فاذا عارضتهُ في عملهِ فانك تقيم نفسك حكماً عليهِ واذا قاومتهُ بالقوة فانك تزيد الشرَّ شرًّا . ثم انك لا تفلح في مقاومتك ما لم تقاوم الجنود وهؤُلاء مأمورون غير آمرين وليس في وسعهم مخالفة ما أُمروا بهِ ولا تفلح في مقاومتهم ما لم تقتل اثنين او ثلاثة منهم او تجرحهم جراحاً تمنعهم من اجراء ما أُمروا بهِ . أفمن العدل ان تقتل او تجرح هؤُلاء الجنود وهم وحدهم الابرياءُ بين كل المشتركين في هذا المنكر . ثم هب انك قتلت اثنين او ثلاثة من الجنود فانك لا تنجي الفتاة اذ لا بدَّ من ان يتكاثر الجنود ويجردوها من ثيابها ولكنك تكون قد وسَّعت نطاق العداوة والشقاء فان لكل واحد من الجنود الذين تقتلهم عائلةً تتوقف معيشتها عليهِ فيصيبها من الضر والبلاء بقتلك لهُ ما لا يقدَّر وصفهُ فيكثر الضر بفعلك ويعم اشخاصاً كثيرين بعد ان كان محصوراً في شخص واحد فليس هذا بالسبيل لانتشار السلام والوئام في الدنيا

وحينئذٍ اتضح لي كيف يعزّز رأيهُ فلم اعد اجادلهُ فيهِ ولو كنت اعلم فسادهُ من وجه اجتماعي . ودُعينا الى الطعام فصعدنا الى المائدة وهي في غرفة واسعة في الدور الثاني وهذا الدور ساذج ايضاً في بنائهِ واثاثهِ كالدور الاسفل ارضهُ عارية لا شيءَ عليها واثاثهُ قديم ساذج وعلى كواهُ ستائر بيضاءُ وعلى جدرانهِ قليل من الصور الزيتية لعلها صور اسلافهِ الذين عاشوا في القرن الماضي

ولقيت على المائدة عائلة الكونت زوجتهُ وهي امرأَة مهيبة الطلعة سوداءُ العينين والشعر تدلُّ هيئتها على انها كانت في صباها من الجميلات وابنهُ البكر وقد اتمَّ دروسهُ حديثاً في احدى مدارس روسيا الجامعة وابنتهُ الكبرى وهي في نحو العشرين من عمرها وابنتين اخريين من اولاد اخيهِ واربعة اولاد آخرين . وكان هناك شاب بثياب مزخرفة من ثياب الفلاحين كأَنهُ اراد ان يتمثل بالكونت في لبس ثيابهم وسيدتان متوسطتا السن لعلهما من صديقات الكونت المتشيعات لفلسفتهِ . فجلسنا نأْكل ونتفكه بالحديث الطيب وكان الكونت اكثرنا جذلاً ولما قمنا عن المائدة امسك منشفةً مطرَّزة وقال انها اتتهُ هديةً من احدى نساء الفلاحين وانهُ يريد ان يبيعها بالمزاد ويعطيها ثمنها لانها فقيرة جدًّا فاخذنا نتزايد في ثمنها ونحن نضحك واخيراً قصر الجميع في المزايدة الاَّ ابنهُ وانا فابلغتها ريالين فقال الكونت هذا غاية ما تساويهِ ولذلك بعتكها فاعترض ابنهُ عليهِ وطلب ان يستمرَّ المزاد عسى الثمن يرتفع كثيراً فابى قائلاً ان المنشفة لهُ ولهُ ان يبيعها بالثمن الذي يرضاهُ فاظهر ابنهُ انهُ قبل ولو على غير رضاهُ وانفضَّ الجمع فرحين ضاحكين .

ستأتي البقية

مستقبل الصين

ديانة الصينيين

يدين الصينيون بمذاهب مختلفة وعقائد متفرقة ولكنها في الواقع ترجع عندهم الى ثلاث ديانات الديانة الطاويّة والديانة البوذية ومذهب كنفوشيوس حكيم الصين الاكبر . وتنفرد اديانهم عن غيرها بان كل دين في الارض ينفي سواهُ ولا يقبل المشاركة واذا دخل قلب امرئٍ طرد كل اعتقاد خارج عنهُ فلا يلتقي في قلب مؤمنٍ ساكنان وان اديان اهل الصين لا يطرد بعضها بعضاً ولا ينقض اخيرٌ اوَّل بل تراها تمتزج وتتحد وتتساكن في قلوب مؤمنيها فيمكن ان يكون الانسان طاويًّا وبوذيًّا وتابعاً لكنفوشيوس في آنٍ واحد . وكأنها في هذا تحتمل شبهاً من امر الطرق وللطرق المثل الاعلى فقد يعهد ان يكون الرجل شاذليًّا ثم يأخذ طريقةً قادريةً او رفاعية او نقشبندية او غير ذلك ولا ينفي ذلك بعضهُ بعضاً لان جميعها ضمن دائرة الشريعة تؤدي الى مرامٍ واحد ومرمًى واحد وهو الاخلاص في ذات الله

على ان الغالب على عقول اهل الصين الاعتقاد بمظاهر الكون ومجالي الطبيعة وهو اساس دينهم فهم يرون في جميع الحركات الطبيعية من عواصف وزلازل وامطار ورياح ونوافح برد ولوافح قيظ اختلاجات ارواح كامنة في الطبيعة كمون الماء في العود او النار في الجلمود . وعندهم ان كل ما يقع عليهِ نظرك من شجرٍ وحجر وسهل وجبل وبحر ونهر وغير ذلك انما هو تجاويف واحناءٌ استجنَّت بها ارواح واستكنَّت فيها جِنَّان تتحرك ضمنها . فكل مادة تحركت فانما اختلج في داخلها الجن الكامن فيها . زعموا وان فوق هذا العالم الادنى عالماً عُلويًّا من الجان والروح يملأُ الفضاء ذاهباً جائياً وان الانسان نفسهُ فيهِ جزءٌ من الأُلْهانية ولكن بدرجة منحطة ونصيب يسير منها فاحتاج لضعفهِ ان يتقي غضب الارواح الالهية بما يقدمهُ من القرابين والضحايا وان يدَّرئ من دون نقمتها بدخان البخور وريح القُتار لأن هذه الارواح على قسمين منها ما هو صالح ومنها ما هو شرّير وكل من الفريقين يعمل على شاكلتهِ

وقد امعن الصينيون في القول بالارواح المستكنَّة والجِنَّان المستجنَّة حتى رتَّبوها عوالم وفصلوها افخاذاً وقبائل وجعلوها طبقات متفاوتة فقيل ان تيان اي السماء هو المحيط بالارض والمنبث روحهُ في جميع اجزاء الطبيعة ينيرها باشعتهِ ويمدّ عليها جناح حرارتهِ . وهو الاله الاكبر وشيخ الجماعة ويسمى شانغتي وقد بحث كثير من علماء الافرنجة في اصل هذه الكلمة

فعلموا ان اصل معناها " النهار " واجتهد بعضهم في اظهار نسبة بينها وبين لفظ الجلالة عندنا توصُّلاً الى اثبات الوحدة في الاصل . وذهب بعض مرسلي الدين المسيحيّ في الصين الى ان شانغتي هذا هو الاله المعبود عند الساميين . وقيل ان بعض الباحثين عثر في كتب الصين على جميع العقائد النصرانية وزعم هابيل ريموزا انهُ وجد اسم " يهوه " في كتاب " السلوك والفضيلة " من كتب الصين وردّ غيرهم هذه المزاعم قائلاً انها اشبه بالخرافات وانها بعيدة التأويل صعبة المسلك وان هؤُلاء لا يتبعون الاَّ الظن وان ديانة الصينيين مستقلة بذاتها نبتت ونمت في عقول الصينيين ومخيَّلاتهم

ومن مزاعم علماء الصين ان للوجود علتين يدبران حركاتهِ اولاهما يانغ وهي العلة المذكورة وتمثلها الشمس وايام ولايتها فصول القيظ من السنة وهي علة الخير والمير وبها حياة الزرع والضرع والانسان والنبات وكل نامٍ . والثانية يين وهي العلة المؤَنثة ويمثلها القمر وايام ادارتها للارض فصول البرد . فالعلتان تتعاقبان على تخت الولاية وهذه الثانية هي علة الشرّ واثرها بريد الشؤْم ورائد الهلاك . فالحرارة عندهم هي الحياة والبرودة هي الموت . وما اقرب ذلك للطب بل وللغة العربية فانهم قالوا بَرَدَ الرجل يبرد برداً مات قال صاحب اللسان وهو صحيح في الاشتقاق لانهُ عدم حرارة الروح . وفي حديث عمر فهبرهُ بالسيف حتى برد اي مات . قال الصينيون وبامتزاج هذين العنصرين الشمس والقمر يلد كل شيء وينمو كل شيء

ومن ظنونهم ان ارواح الموتى هائمة في الفضاء تطوف ببيوت الاحياء ولا تزال تؤَثر في احوالهم المعاشية وتعمل في مصاير امورهم . ويقولون بثلاث انفس في الانسان الواحد الروح العقلية ومركزها الدماغ والروح الحسية ومقرها الصدر والروح المادية ومحلها البطن . فاذا مات الانسان او على رأْيهم بَرَد سكنت الروح الاولى مواطن التذكار وسكنت الثانية القبر وافلتت الثالثة بلا قيد فكانت ذات خطر جسيم وشرٍّ مستوبَل . وربما حاولت المجاز الى اجسام أُخر وربما تهافتت على استار الاجساد تهددها بالاختراق . واذا قصر اهل هذه الروح في العبادة كانت عليهم وبالاً واشد الارواح خطراً ارواح الاطفال لأَنها كانت ناقصة عند الانفصال والغالب عليها الطيش كما لا يخفى فجدير ان لا تؤْمن غوائلها ولا يُسترسل الى نواحيها . ولهذا جرت العادة بايقاد العود عند مداخل البيوت حجاباً على الابواب من دون هذه الارواح

ومما يهمُّ الصينيّ كثيراً اختيار مدفنهِ والتحري في امر المقابر فان روح الميت بزعمهم ان كانت متأَثرة من شيءٍ انتقمت من اهلها ولو كانوا ابراراً فجرت لهم النكبات والمصائب لم يشفع لهم برّهم ولا نفعتهم تقواهم . أَلا وان الارواح ترفرف مثل الغمام المتولي وتذهب مثل الضباب

المولي فلاجل تسهيل طروق اخيارها وسد الطرق والثنيات على اشرارها لزم التأنق في بناء القبور والبيوت واتقان فتح السكك وحفر الترع ونحت المعادن وإمهاء الآبار. واذا حصلت بعد هذا كلهِ عظائم وامور أُنحي باللوائم على معلمي الديانة ومرشدي سبلها الذين لم يعلموا جيداً اسباب التدارك ووسائل الاتقاء وهم معذورون في هذا العجز لأن التعنُّت ظاهر من حركاتها. وكثيرًا ما تضطر الحكومة الى ردم آبار وحفر لان الاهالي شكت من اضرارها بالمزروعات لكونها اصبحت مأوى للارواح الخبيثة وافسدت بذلك الزرع والضرع. بل ربما قامت الدعاوى وتكوَّنت الخصومات بين الجيران بسبب تغيير وقعَ في هيئة الارض فحدث منهُ مسرب للارواح لم يكن من قبل اذ قلما تظهر حفرة في ارض الاَّ جاءت روح واندسّت فيها فصارت رصدًا على ما حواليها. وعليهِ يلزم ان يكون هناك ربّان سماويٌّ ماهر يدير سكان تلك السفينة الجوّية حسبما تقتضيهِ المصلحة ويتقي عواصف اهوائها بصنوف الحِيل و يسيرها ما امكن نحو الخير ولذلك قد يبنون الابراج و يغرسون الاشجار وقاية من الارواح الخبيثة فكم جنَّةٍ هي جُنة وكم بستان هو صوان

وريح الشمال هي الهابة بالارواح الشريرة حال كون الريح الجنوبية هي ريح الصالحين فاليمين افضل من الشمال في كل الدنيا. ثم ان لطيف المنحنيات والالواء والمنعطفات المتعرّجة تدريجًا والاودية والانهار كلها منازل الارواح الصالحة بخلاف المنعرجات البتراء والاشكال المنقطعة والخطوط المستقيمة الذاهبة صدًّا فانها ملجأٌ لأرواح ليس عندها شيء من الاستقامة. واليُمن كل اليمن في الحركات الملتوية ليًّا خفيفًا كحركة الريح او الماء. ويقال لهذا المذهب فنغ شوي اي الماء والهواء واصحابهُ يُعنَون باستعطاف الارواح المائية والهوائية. وفي الحق انهُ مذهب هوائيّ وان عليهِ رقة الماء غير انهُ ينطبق على قوانين الصحة فاهلهُ يحمدون رأي الاطباء من الانكليز في الولوع بغرس الاشجار تنقيةً للهواء واستدرارًا لاخلاف السحاب وفي مقابلة ذلك يكرهون المهندسين عملة الخطوط وحَفَرة الحفائر. وكان من جملة اسباب منع السكك الحديدية في الصين تخوُّف الاهالي من خطوطها وهذه الخرافات حالة كونها ليست بديانة الصين الرسمية فإن لها عند عامة الصين شأنًا عظيماً يفوق الرسميّ والشبيه بالرسميّ. وهذا غير عجيب لانهُ لا يوجد بقعة على وجه الارض الاَّ وعامة اهلها متمسكون من الدين بالخرافات ومهملون اللباب. فإن العامة لاعقل لهم ودين المرء على قدر عقلهِ. ومن المرويّ عنهُ صلى الله عليهِ وسلم "الدين العقل فمن لا عقل لهُ لا دين لهُ". ولقد تمسك الصينيون بهذه الاباطيل وهذه المضحكات ونبذوا اقوال لاوتز مؤسس ديانتهم على ما فيها من التوجه

الى الحقيقة وانكار هذه الارواح الهائمة في الفضاء الحائمة فوق رؤوس الاحياء . وعندهُ ان الكون المنظور ليس سوى مظهر العلة السامية التي تدرِك ولا تدرَك واسمها طاو اي طريق النجاة

ثم افسد الكهنة هذه الديانة كما افسد غيرهم غيرها وخلطوها بالسحر والطلسمات ونزلوا بها الى حضيض الفتيشية وقالوا بالموائد الدائرة والارواح النجسة والتنجيم والعرافة والكهانة وما اشبه ذلك من سفاسف الاقوال . وعضوا على هذه الامور بالنواجذ . فالحكومة لا تزال تحترم هذا المذهب محافظة على رضى العامة العمياء . وهي تجري على رئيسهِ الذي يزعم انهُ من سلالة لاوتز رزقاً سنوياً وهو يوزع في الآفاق الصينية نوعاً من التمائم والتعاويذ في قراطيس خضر وحمر لاجل ان يتقي بها الناس الشرور والآفات

وحيث كما قدمنا غلب على ظن الصينيين انهم محفوفون من كل الجهات بالارواح والجنّان كانوا يسعون ابداً في اتقاء غضبهم وصرف صواعق نقمهم بقضبان القرابين وبالصلوات والنذور وجرت العادة ان يقوم بذلك عندهم رئيس العشيرة او العترة او شيخ البلد او مقدَّم القوم فهو ينوب في هذا الامر عن الباقين . ولا يفيد هذا وجود واسطة عندهم بين العابد والمعبود وان هناك فئة من الكهنة لهم وحدهم حق التقديس كلاَّ وانما اعتقدوا كون الالهة انفسها طبقات بعضها فوق بعض ولاجل مراعاة النظير جعلوا الامة طبقات ايضاً وناطوا بكل طبقة من الامة ، عاملة طبقة من الالهة فالكبير عامل للكبير والاوسط للاوسط والاصغر للاصغر وللسلطان الامتياز بتقديم القربان للاله "السماء" وللارض والجبال التسعة والانهار الصينية العظمى ولا حق لامراء الصين التطاولُ الى مخاطبة هذه الطبقة فقد اختصت بها المخاطبات السلطانية وانما يقرّبون لطبقة ادنى من تلك وللجانّ الساكن في المحل كما ان العامة يعكفون على الحجر والشجر والحشائش وسائر الخسائس . ولما كانت الديانة عندهم من جملة دوائر الحكومة فالحكومة هي التي ترتّب هذه المراتب وتسنّ قوانين للتديُّن وسائر الشعائر

ولقد عُهِدَت في الصين الضحايا البشرية من جملة القربات لكن غالب هذا الاصطلاح كان عند امة المغول وكان كثير من اتباع الملوك يدفنون انفسهم مع الملك المتوفى ولما مات هوانغتي قبل المسيح بنحو قرنين نزل معهُ الى القبر كثير من نسائهِ وحرسهِ ودفن عشرة آلاف رجل من الاحياء حول ضريحهِ وكان لم يزل اثر لهذه العادة الباطلة في بعض الاصقاع النائية من الصين وكثير من النساء يلقين باطفالهنَّ في الانهر قربةً وزلفى للالهة فبلغ احد الولاة عن بعض الآباء والامهات انهم يفعلون هذا الفعل الفظيع فامر بالقائهم جميعاً في نهر الكيانغ فكان جزاؤهُ من جنس عملهم . وقد عزي الفضل لكنفوشيوس ومريديهِ في ابطال هذه

المنازع الذميمة في العبادة ولكن لاشك انها كانت قد ضعفت من قبل كنفوشيوس وانما هو نسخها تماماً علي ان الحكيم شديد الاستمساك بالعوائد الدينية القديمة ما عدا هذه العادة بل الدين كلهُ عندهُ عبارة عن حفظ القديم . ولم يكن لخوارق الطبيعة والمعجزات والوحي شأن عند كنفوشيوس بل هو بعيد عنها كلها ومن جملة اقوالهِ "كيف يمكننا ان نعلم ما يجري في السماء ونحن نجهل حقيقة ما هو واقع على الارض" ويروى انهُ قال لاحد تلاميذهِ وقد سألهُ عن الآخرة "انت لم تعلم الى الآن كيف تعيش في هذه الدنيا فكيف تسأل عما تصير اليهِ بعد موتك" . وما كانت مقالة كنفوشيوس الاَّ عبارة عن واجبات الانسان نحو آبائهِ وابنائهِ وبني جلدتهِ ودولتهِ وان الديانة يجب ان تهمهُ من جهة كونها من جملة اوضاع الدولة . وكان من اهل الاعتدال في افكارهِ والقصد في مشيهِ والحشمة في سلوكهِ والسذاجة في احوالهِ الخاصة حتى استحق من محابّ قومهِ وحرماتهم ما صيَّرهُ اول انسانٍ عندهم . ولو سألت عن دين كنفوشيوس لم تجدهُ سوى محبة اتباعهِ لهُ فكأن اتباعهُ ينظرون الى قول الامام عليّ رضي الله عنهُ "محبة العلماء دينٌ يُدان بهِ"

ومع شدة شغف القوم بكنفوشيوس واجلالهم لقدرهِ وتواتر القرون بعد القرون على ذكرٍ مقدَّس واحدوثة فائقة وحب زائد وجلالة مؤثَّلة لم يرفعوهُ الى صف الآلهة ولا نسبوا اليهِ معجزة ولا خارقاً لطبيعة . وكان مضى على وفاتهِ اربعمائة سنة عند ما اطلقوا عليهِ لقب كونغ بمثابة دوق عند الافرنج ثم مضت اربعة قرون اخرى حتى لُقّب بالمقدس الاول ولم يُعلن عندهم انهُ اقدس واحكم وافضل شارع على وجه الارض الاَّ في دولة مينغ المتأخرة

وترى في جميع بلاد الصين مشاهد لكنفوشيوس ينتابها الذين لا تتهيأ لهم زيارة قبرهِ الحقيقي فيقال ان لهُ الفاً وستَّ مئة هيكل. ولما امر الامبراطور هوانغتي بحرق كتب الاولين حسداً وبغياً وكان من جملتها كتاب الشوكينغ الذي جمعهُ كنفوشيوس بلغ عدد الذين احرقوا انفسهم وراء هذا الكتاب اربعمائة وستين رجلاً . فليتأمل البشر في عقول البشر

ومن الاديان السائدة في الصين الديانة البوذية ولم تبعد هذه عن اصلها بمقدار الديانة الطاوية ولكنها بالنظر لكونها بدأت في الصين غريبةً لم تخلُ من كونها اختلطت بكثير من عقائد الصينيين مثل قضايا الارواح والجِنان والاصداء والهام فقد لقيت البوذية لدن اول دخولها من كهنة الطاوية واتباع الحكيم مقاومة شديدة فتسامح لهم دعاتها من الهنود بكثير من عقائدهم ورضخوا لهم على ادخال ذلك في البوذية فكثرت اتباع هذه الديانة وعرفها سلطان الصين بعد دخولها الى تلك البلاد بثلاثة قرون . وكيفية ما تساهل بهِ البوذيون مع الصينيين

انهم جعلوا لهم ارواح الرياح والمياه واعاظم الرجال وغير ذلك من جملة مقامات بوذا فاوجدوا في مذهبهم ما يفي باغراض الجميع . فاهل العلم والعرفان يعجبهم من مذهب بوذا مناهجهُ العقلية والعامة يميلون اليهِ لما فيهِ من الاحتفالات والزيارات والطواف وما يمنّيهم اياه' من انتهاء شقائهم في الدار الآخرة . والكتب المتداولة من مذهب بوذا في الصين ليست هي الكتب الشائعة عند المغول وعند اهل التبّت بل الكتب الملائمة لذوق الصينيين المنطبقة على مشاربهم . وسبحان الله فكأَن الدين يتلوَّن بلون البلاد التي يدخلها تلوّن الشراب بلون الاناء . واحب كتب بوذا الى الصينيين كتاب " النيلوفر الابيض " وهو مجموع مواعظ وتعازي وجمل رقيقة . واحب فرق البوذية عندهم فرقة (كوانين) وهي امرأة كانت من تلاميذ بوذا لم يكن فيهم امرأة غيرها وقد آل امرها في الآخر الى ان صارت الهة الرحمة وهي ملجأ الامهات العُقم وموئل النواتية الذين تثور عليهم العواصف . وهم يصورونها والطفل بين ذراعيها

وكان معظم استفحال مذهب بوذا بين القرن السادس والقرن الحادي عشر للمسيح وفي هذه البرهة بلغ التحمُّس بهذه الديانة مبلغهُ وترجم من السنسكريت الى الصينيّ لا اقل من ١٥٠٠ كتاب وبنيت لبوذا الهياكل والابراج في كل ديار الصين . وهياكلهم طبقات خمس او سبع او تسع او احدى عشرة او ثلاث عشرة لأَن اديان الشرق كاديان الغرب تؤْثر العدد بالمفرد على الزوج ولهذه الهياكل الاجراس والنواقيس كما للكنائس . وفي الغالب يوجهون ابوابها الى الجنوب الاَّ اذا كان ثمة جبل او نهر فتوجه نحو الجبل او النهر. والشعائر الدينية هي القرابين والاناشيد والركوع والسجود والطواف واذا طافوا انشدوا على التوالي أُومي توفو أَي بوذا

على ان هذا التحمُّس بمذهب بوذا قد خمدت جذوتهُ في ديار الصين وتداعى اكثر تلك الهياكل الى الخراب فهي خاوية على عروشها وقد زهدت الحكومة الصينية فيهِ وصرفت انظار الناس عنهُ بقدر ما استطاعت ولكنهُ لا يزال ذا تبع كثير تحت تلك السماء وقد يجمعونهُ كما قلنا الى مذهب طاو والى طريقة كنفوشيوس لأَن كثيرين من اهل الصين يقولون " الاديان الثلاثة دين واحد " . وطالما اشترك كهنة المذاهب الثلاثة في اقامة الشعائر الدينية كانهم خدمة دين واحد وهم يقولون ان مذهب كنفوشيوس يتكفل لهم بعلم آدابهم ومذهب طاو بحفظ كيانهم ومذهب بوذا باعلاء درجة افكارهم

وانما كان مركز الديانة البوذية ومضرب عسلتها بلاد التبت فان " لاسا " قاعدة هذه البلاد هي " رومة " البوذية وقبلة جميع اتباع بوذا من جميع آفاق الصين واليها يحجّ وفودهم واليها تهوى افئدتهم ويسمونها " كرسيّ الله " والمغول يقولون " الحرم المؤَبَّد " وفيها المحل

المسمى بجبل بوذا وفيها عشرون الف راهب ومعظم شغل سكانها العبادة فمتى مالت الشمس للمغيب ترك الناس جميع ما هم فيهِ وتجمَّعوا على السطوح وفي الساحات والجواد جماهير يصلّون و يسبحون فارتفعت لذلك الاصوات من جميع انحاء المدينة

ومن جملة الاديان المعروفة في الصين الديانة اليهودية واتباعها قليلون وكثير من الصينيين يظنونهم فرقة من اهل الاسلام ويسمونهم المسلمين الزُرق لان احبارهم يلبسون قلانس زرقاء ويحتذون نعالاً زرقاء ويقال لهم ايضاً "مقطعو العروق" بسبب عادتهم ذبح الشياه لاجل طعامهم . وكانوا في الماضي اوفر عدداً من اليوم فكان منهم في باكين ونانكين ونينغبو فلم يبقَ منهم الا شرذمة في كيفون قاعدة هونان والسبب في ذلك ان الجم الغفير منهم دخلوا في الاسلام ومنهم من صبا الى ديانات الصينيين والباقون منهم على الموسوية لا يتكلمون الاَّ بالصيني واحبارهم اصبحوا لا يعرفون من العبرىّ الاَّ قليلاً وهم يزعمون انهم طرقوا الصين من قبل المسيح بقرنين الى ما بعدهُ بقرنين اما سيَّاح الاوربيين فيظنون جلاءهم الى هناك على اثر خراب البيت المقدس وانقراض ملكهم فيهِ . ولما دخل اليهود الاوربيون بينهم بقصد تعليمهم وجدوهم جاهلين بالمرة اصلهم ولغتهم بل وجدوهم كما قال احد سياح الانكليز في تقرير للجمعية اليهودية الانكليزية سنة ١٨٧٩ "قد ولّوا وجوههم شطري مكةَ والمدينة"

ومن الاديان التي عرفها اهل الصين من عهد بعيد الديانة النصرانية فقد كان في بلاد الصين من النساطرة امم لا تكاد تحصى كثرة تشهد بذلك التواريخ وتنطق الآثار وسنة ١٦٢٨ عثر على حجر بقرب سنغان فو عليهِ كتابة تفيد ان داعياً سوريًّا اسمهُ اولبون دخل بلاد الصين سنة ٦٣٥ ومعهُ التصاوير والكتب المقدسة ولثلاث سنوات من وصولهِ حصل على الاذن ببناء كنيسة في سنغان ثم انتشرت هذه الديانة وصار لها اتباع في جميع الولايات ونكب اهلها خصوصاً في القرن السابع ولم يمنع ذلك ازديادهم ولما دخل ماركو بولو السائح الايطاليّ وجد منهم طوائف وافرة خصوصاً في الجهات الشمالية . وقال ابن بطوطة عند ذكر مدينة الخنساء العظمى وكونها ست مدن كبار "ان المدينة الثانية منها مسكن اليهود والنصارى والترك" ومن هنا تعلم وجود النصارى هناك في ذلك العهد

ولا يخفى ان النصرانية دخلت في دولة جنكيز خان امير الايغور والخطا والمغول . وجنكيز نفسهُ وإن لم يتنصر فقد كان محباً للنصارى مكرماً لهم وقال ابو الفرج الملطيّ في مختصر الدول: وكان بمقام الاتابكية لكيوك خان امير كبير اسمهُ قداق وكان معمَّداً مؤمناً بالمسيح وشاركهُ في ذلك امير آخر اسمهُ جنيقاي فهذان احسنا النظر الى النصارى وحسنا يقين كيوك خان ووالدتهِ

واهل بيتهِ بالمطارنة والاساقفة والرهابين فصارت الدولة مسيحية وارتفع شأن الطوائف المنتمية الى هذا المذهب من الفرنج والروس والسريان والارمن والتزم الخاص والعام من المغول ان يقولوا في السلام (برخمُر) وهو لفظ سرياني معناهُ بارك مالكي

ثم تلاشت النسطورية من الصين ودخل جميع اتباعها من اويغور وتتر وطوائف اخرى في الاسلام . ومؤرخو الاوربيين يظنون وقوع ذلك لعهد تمرلنك قال اليزه ركلوس ونظن ان ذرية هؤلاء النساطرة هم الدونغان المسلمون الذين كادوا يسقطون عرش مملكة الصين في ثورتهم الاخيرة . على انهُ ما غاب مذهب نسطور من هناك حتى تجدد للنصارى على يد الكثلكة شأن في الصين ففي القرن الثالث عشر صار مونتكورڤينو مطرانًا على باكين وشاد هناك الكنائس . وسنة ١٥٨١ دخل راهب يسوعي اسمهُ روغجيرو وتبعهُ دعاة أُخر واستمالوا بجهدهم وحسن مدخلهم كثيرين من رجال الدولة والكبراء الى الديانة المسيحية قال بعضهم ان هؤلاء بحسن سياستهم تنكبوا طريق الطعن في اديان الصين القديمة خشية تنفير الناس منهم فجاء الرهبان الدومينيكيون في القرن السابع عشر وخطَّأُوا الاولين في سياستهم فنشأت عن ذلك مناظرة في الدعوة وجاءت براءة من البابا اكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧١٥ مؤيدة لطريقة الدومينيكيين . هذا ما رواهُ بعضهم والعهدة فيهِ على راويهِ . ولما جرى منع النصارى الجدد من ممارسة شعائر الصين القديمة ضعف شأن التنصير بالنسبة الى الاول وسنة ١٨٧٦ كان دعاة الكاثوليكية نحو ثلاثمائة ومعهم جم من نصارى الصينيين انفسهم وقُدّر اتباعهم لذلك العهد بخمسمائة الف نسمة وان عدد المتنصرة يزداد كل عام نحو الفين واكثر ما يقع التنصير في المجاعات فان الدعاة يأخذون مئات من الاطفال ويربونهم في حجر الدين المسيحي فينشأُون نصارى

واما الدعوة البروتستانية فجاءت متأخرة اذ لم تكن معروفة قبل سنة ١٨٤٢ وانحصرت اعمالها في المواني الخمسة التي فتحتها للتجارة معاهدة نانكين . ومن سنة ١٨٦٠ فصاعدًا وصلت الدعوة الى سائر الجهات ما عدا التبت والتركستان الشرقي وقد وطئ دعاة المذهب البروتستاني بلاد المغول ومندشوريا وبنوا عشرين بيمارستانًا وثلاثمائة وخمسين مدرسة فيها سبعة آلاف وخمسمائة طالب . وكان عدد بروتستان الصين منذ نحو عشرين سنة خمسين الف نسمة وقد ازدادوا الآن زيادة مهمة ولكن يقول بعض السياح ان حرب الافيون اضرت بنجاح الدعوة لأن اكثر مرسلي هذه الفرقة هم من الانكليز وحرب الافيون كرَّهت الانكليز الى الصينيين وبالاجمال تجد تجار الاوربيين يضرون بفوز ديانة الاوربيين ولذلك يحترز الدعاة من

مخالطة ابناء جلدتهم لمتنصرة الصينيين حرصاً على اخلاقهم وللتباين الواقع بين قواعد الدين المسيحيّ وافعال الجالية الى هناك من اهلهِ. واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى الامر الامبراطوريّ الصادر مرة في جريدة باكين الرسمية بشأن الاوربيين وهو " ان فئتين من الاجانب تدَّعيان اصلاح امور الصين احداهما تأمرنا بمحبة القريب كانفسنا والثانية تعلّمنا كيفية قتلهِ من مسافة بعيدة بدون حرج علينا وتبيعنا بنادقها المتقنة لكيفية القتل "

هذا وقد زعم بعضهم ان منشأ فتنة البوكسر الاخيرة التي آلت الى الحرب الحاضرة هو من امعان المرسلين في بث دعوتهم وقد شوهد ان الذين اهتضموا ونُكبوا في هذه الفتنة اكثر من الجميع هم الصينيون المتنصرون والصحيح ان هذا هو من جملة اسباب الثورة وليس كلها. هذا ما عنَّ لنا ذكرهُ بشأن الاديان المختلفة في الصين على وجه الاختصار وقد ابقينا الكلام على الاسلام الى المرة الآتية

شكيب ارسلان

عمران دمشق

في خلافة بني العباس

انتقل الملك الى بني العباس سنة ١٣٢ هـ فلم يميزوا بغداد عن دمشق في شيءٍ الاَّ ان طبيعة الملك وقرب دار السلام من خراسان منبعث دولتهم ومنبثق دعوتهم دعياهم الى اختيارها على علاَّتها عاصمة لسلطانهم على انهم كانوا يعدُّون البلاد كلها لهم لا فرق بين دار ملكهم واصغر قرية منهُ. ولذا عرفت دمشق في ايامهم طعم العدل وذاقت حلاوة العمران حتى كان المسافر بينها وبين بغداد يقطع المساوف تحت ظلال الاشجار آمناً في سِرْبهِ

روى ابن عساكر ان ملوك بني العباس لم يزالوا يخفّون الى دمشق طلباً للصحة وحب المنظر منهم المأمون فانهُ اقام بها واجرى اليها قناة من نهر مَنين في سفح جبلها الى معسكرهِ بدير مرَّان وبنى القبَّة التي في اعلا الجبل وصيرها مرقباً يُوقد في اعلاها النار لكي ينظر الى ما في عسكرهِ فاذا جنَّ عليهِ الليل كان ضوءها الى ثنيّة العُقاب (١) والى جبل الثلج

---

(١) قال ياقوت وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطأها القاصد من دمشق الى حمص قال احمد بن يحيى بن جابرة وغيره من اهل السير سار خالد بن الوليد من العراق حتى اتى مرج راهط فاغار على غسان في يوم فصحهم ثم سار الى الثنية التي تعرف بثنية العقاب المطلة على غوطة دمشق فوقف عليها ساعة ناشرًا رايتهُ وهي راية كانت لرسول الله صلى الله عليهِ وسلم فكانت تسمى العقاب علماً لها ويقال انها سميت ثنية العقاب لعقاب من الطير كان ساقطاً عليها بعشهِ وفراخهِ

اما هذه المناور فقد كانت تستعمل في بلادنا قديمًا اعلامًا بحركات الاعداء . جاء في كتاب التعريف انها تستعمل للاعلام بحركات التتار اذا قصدوا البلاد للدخول لحرب او لاغارة . ولما يرفع من هذه النيران او يدخن من هذا الدُّخان ادلة تعرف فيها اختلاف حالات رؤية العدْو والمخبر بهِ باختلاف حالاتها تارةً في العدْو وتارةً في غير ذلك . وقد أُرصد في كلّ منوّر الديادب (جمع ديدبان وهو الرقيب) والنظارة لرؤية ما وراءهم وايراء ما امامهم ولهم على ذلك رواتب مقرّرة لا تزال دارّة فمنذ اصلح الله بين الفئتين قلّ بذلك الاحتفال . والمناور المذكورة تكون تارة علي رؤُوس الجبال وتارة تكون في ابنية عالية ومواضعها تعرف بها اكثر السفَّارة وهي من اقصى ثغور الاسلام كالبيرة الى، حضرة السلطان بقلعة الجبل حتى ان المتجدد بها عشاءً كان يُعلم بها بُكْرَةً

ثم عدَّد مناور الطرق فقال ويرفع النار في القريتين فيرى بالعُطنة ويرفع فيها فيرى في ثنية العقاب ويرفع فيها فيرى بمأذنة العروس ويرفع فيها لما حولها انذارًا للرعاية وضمًّا للاطراف ويرفع حول دمشق بالجبل المطلّ علي برزة فيرى بالمانع ويرفع بهِ فيرى بتَل قرية الكتيبة . وختم بقولهِ اعلم ان من جميع ما ذكرناهُ مناور تتشعب الى ما خرج عن جادّة الطريق الى البلاد الآخذة على جنب جنوبًا وشمالاً وشرقًا وغربًا اما هذه المناور الآن فرسوم قد عفت وجسوم اكل شعل النار ارواحها فانطفت

وبهذا ترى ان القبة القائمة انقاضها اليوم في قمة جبل قاسيون المشار اليها في كلام صاحب التعريف والمعروفة اليوم بقبة النصر ان لم تكن من بناء العباسيين فقبتهم كانت مكانها ثم خربت وتجدّد غيرها وما يقال عن قبة النصر واستخدامها منارة فيما مضى يصحُّ ان يقال عن قبة السيار المسامتة لها من الشق الآخر من الجبل

اما القناة التي جرُّ بها ماءُ قرية منين لمعسكر المأمون بدير مرّان وهو اليوم حدائق صبَّار وآس فهي من اهم الامثلة في العمران على عهد هذه الدولة لان المسافة بين منين ودير مرّان لا تقلُّ عن ثلاث ساعات يتخللها كثير من الوهاد والنجاد والشعاب والعقاب . وما من اثر يدلُّ علي القناة الأ ما كان من بقايا مجرى نهر في سفح الجبل بادٍ للعيان على ان طواريءَ الحدثان عَفَّت القريب عهدهُ من الآثار فما بالك بما مضي عليهِ زهاءُ الف سنة والناس قد نسوا تاريخ اجدادهم وتخطيط بلادهم حتى لو قلنا لهم ان المأمون بنى مرصدًا فلكيًا في جبل قاسيون لرصد الاجرام السماوية والاحداث الفلكية وان أُلوغ بك التتري بنى مرصدًا بدمشق ايضًا منذ ستة قرون لاستغربوا ذلك منا ولو جئناهم عليهِ بالشواهد التاريخية

قلت ان بني العباس وخصوصاً الخلفاء الأُول منهم كانوا يُجلُّون قدر دمشق ويعرفون لها مركزها بين البلاد حتى ان الخليفة المتوكل عزم على المقام بها ونقل دواوين الملك اليها ولو لم يستوبئها ويستثقل ماءها على ما قيل لما رحل عنها . وكان خروج المتوكل من دمشق الى سُرَّ مَن رأَى سنة ثلاث واربعين ومائتين . ويُظن ان السرَّ في عدولهِ عما قصد لهُ هو ما كان مستحكماً بين العراقيين والشاميين من الاحقاد القديمة التي من آثارها نسبة المعاير والمعايب للبلاد التي يسكنها كل من الفريقين ولا يبعد ان خروجهُ كان تسكيناً لثائرة الفتن الداخلية بينهُ وبين رعيتهِ وحاشيتهِ اذ لم يكن المتوكل ممن تمدح سيرتهُ وسريرتهُ . وفي خروجهِ من بغداد يقول المهلبي من ابيات

اظنُّ الشام يشمت بالعراقِ اذا عزم الامام على انطلاقِ
فان تدعِ العراق وساكنيها فقد تُبلى المليحة بالطلاقِ

ويؤخذ مما قالهُ المسعوديُّ ان المتوكل لما نزل بدمشق ابى ان ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة في اعالي الارض وهذا الموضع بدمشق يُشرف على المدينة واكثر الغوطة وكان يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ ويقول السيوطيُّ ان القصر بني للمتوكل وكيفما كان فان القصر اخنت عليهِ حادثات العصر واصبحنا ولا خَبر عنهُ ولا خُبر . وللبحتري من قصيدة يمدح المتوكل في دخولهِ الفيحاء ويصفها

امَّا دمشق فقد ابدتْ محاسنها وقد وَفى لك مُطريها بما وَعدا
اذا اردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ ـمستحسن وزمانٍ يشبهُ البلدا
يُمسي السحاب على اجبالها فِرَقًا ويُصبح النَّبت في صحرائها بَددَا
فلست تُبصر الاَّ واكفاً خضِلاً ويانعاً خضرًا او طائرًا غردا
كأَنَّما القيظ ولَّى بعد جيئتهِ او الربيع دنا من بعدما بَعُدا

ولما ضعفت الدولة العباسية اصاب الفيحاء ما اصاب غيرها من الانحطاط لاسيما في اواسط حياتها ابّان انتشر ملوك الطوائف واستبدوا بالاطراف واخذ الخلفاء لضعف عصبيتهم يستظهرون بالموالي والمصطنعين من الترك والفرس والديلم ففي خلافة الراضي سنة ٣٢٤ بطلت الدواوين والوزارة ولم يكن الوزير ينظر في شيء من الامور كما روى ابن الاثير انما كان ابن رائق وكاتبهُ ينظران فيها جميعاً وكذلك كلٌّ من تولى امرة الامراء بعدهُ وصارت الاموال تحمل الى خزائنهم فيتصرَّفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون وبطلت بيوت الاموال

وتغلب اصحاب الاطراف وزالت عنهم الطاعة ولم يبقَ للخليفة غير بغداد واعمالها والحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم

واما باقي الاطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق وخوزستان في يد البريدي وفارس في يد عماد الدولة بن بويه ويدوشمكير اخي مرداويج يتنازعان عليها والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طغج والمغرب وافريقية في يد ابي القاسم القائم بامر الله بن المهدي العلوي وهو الثاني منهم و يلقب بامير المؤمنين والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموي وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي

وفي خلال هذه المدة قويت شوكة القرامطة فاستولوا على الشام مراراً واعملوا السيف في اهلها وملأُوا ايديهم من الغنائم والنهب فقد ذكر المؤرخون ان القرامطة اخذوا دمشق فصالحهم اهلها على مال دفعوهُ اليهم ولكن بعد ان نهبوا وسفكوا وكذلك سنة سبع وخمسين وثلثمائة وفي رواية ايضاً سنة ٣٦٠ . وكذلك حدثت بها فتن الاسماعيلية وغيرهم من الخوارج

و بعد ان تسلط بنو طولون حكام مصر للدولة العباسية على دمشق ٧٢ سنة استولى عليها الفاطميون سنة ٣٥٨ والحقوها بمصر وبقيت سورية تابعة لهم ١٧٣ سنة حتى جاءت الدولة السلجوقية التركمانية و بسطت يدها على البلاد . وكانت الدولة الفاطمية دولة تلوّن في المشرب وتلاعب بالامة وكثرت الفتن في ايامها وخرجت الشام عن حكمها ثم عادت اليها ومع هذا فقد اجتهد الفاطميون في ترقية التجارة والصنائع والزراعة وبنوا كما قال سيديليو المساجد الفاخرة ومرصداً لابن يونس مثل ما كان للفلكيين في المملكة العباسية وحسنوا ادارة الخراج وكيفية تحصيلهِ حتى ساوى دخل المملكة السنوي دخل المملكة العباسية زمن الرشيد وفاقت مدارس القاهرة رونقاً على المدارس البغدادية بعد ذهاب ملك بني بويه الذين عُرفوا بخدمتهم للعلم وكان الحاكم بامر الله على فساد اخلاقهِ وسوء ادارتهِ يحترم العلماء و يشوقهم باحسانهِ الى احياء العلوم (فما كان ينفيهم ولا يطردهم)

ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٣٧٢ لما استولى بكجور على دمشق باسم الفاطميين ان هذا البلد كان قد خرَّبهُ العرب واهل العيث والفساد وانتقل اهلهُ الى اعمال حمص فعمرت وكثر اهلها والغلات فيها ووقع الغلاء والقحط بدمشق فحمل بكجور الاقوات من حمص اليها وتردد الناس في حمل الغلات وحفظ الطرق وحماها لكنهُ ظلم وقتل وصلب واخذ المال

وسنة ٣٦٣ وما بعدها جرت فتنٌ في دمشق وقت رجوعها الى المعز فخربت المنازل وانقطعت

المواد وانسدت المسالك و بطل البيع والشراء وقطع الماء عن البلد فبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد

وظلَّ السلجوقيون بدمشق حتى سنة ٦٦١ ايام قرضهم التتار وكان ابتداء دولتهم سنة ٤٣٢ وانقراضها سنة ٦٨٧ . ولم اقف على تاريخ ينطق بحال الفيحاء على عهد تلك الدولة التركية التي قامت الدولة العثمانية على انقاضها والعهد ان ملوكها كانوا على جانب من التدين والميل لراحة البلاد والسعي لسعادتها حتى صار يُضرب المثل بملوكهم الأُول وقد حكموا آسيا الصغرى وارمينية وبلاد الكرج واتخذوا مدينة قونية عاصمة ملكهم

وجاء التتار دمشق مرارًا وعاملوها بما عاملوا بهِ سائر البلاد على ما رُكِزَ في غرائزهم من القتل والنهب والسبي ففي سنة ٦٥٨ استولوا عليها وسائر الشام الى غزة عقيب استيلاء هولاكو سلطانهم على بغداد وقتل المستعصم سنة ٦٥٦ واستقرت شحائنهم بها بالامان ونهبوا جميع ما فيها وخربوا اسوارها حتى اخرجهم منها الملك الظاهر بيبرس البندقداري

ويؤخذ من كلام الذهبي وابن خلدون وغيرهما ان غازان من احفاد هولاكو التتري دخل دمشق سنة ٩٩٦ ثم ارتجع عنها بعد ان بذل لهُ اهلها مالاً عظيماً وكذلك سنة ٧٠٢ جاء التتار بجموعهم الى بلاد المسلمين صحبة نائب غازان فانحاز الجند الشاميّ الى دمشق وتوجهَ الجند المصريّ نحو الشام واجتمعوا بمرج الصغر وتجاوز التتار دمشق ونزلوا "شقحَب" وتراءى الجمعان ووقع القتال فانكسر التتار فولوا علي ادبارهم يتبعهم المسلمون وافنوهم قتلا واسرًا وغرق في الفرات غالب من هرب من التتار

وسنة ٧٧٨ جاء جموع التتار فنزلوا بالمدرسة العادلية اكبر مدارس الشافعية بدمشق فأُحرقت ونُصب المنجنيق على القلعة بسطح جامع بني امية فاحرقوهُ فاعيد عملهُ وكان المغول يحرسونهُ . قال ابن خلدون وانتهكوا حرمة المسجد بكل محرَّم من غير استثناء وهدم ما كان حول القلعة من المساكن والمدارس والابنية ودار السعادة وأُهين القضاة والخطباء وعطلت الجماعات والجمعة وفحش القتل والسبي وهدمت دار الحديث وكثير من المدارس ثم انجلوا عنها

واتفق ثقات المؤرخين ان دمشق شهدت اسعد ايامها على عهد الفاتحين العظيمين الملكين العادلين نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين يوسف بن ايوب لانهما من رجال الافعال لا الاقوال شعارهما العدل بين البرية ودثارهما الحنان على الرعية وقد امتدَّ العمران على عهدهما امتداد الشؤبوب وكثر العلماء والادباء في دولتيهما كثرة يتعذَّر ان تحصل عليها امة في قرنين مع ان حكمهما لم يطل اكثر من ٣٩ سنة وكل مدة بني ايوب ورأسهم صلاح الدين لم تكن

سوى ثمانين سنة تعاقب فيها عشرة اشخاص منهم امرأة واحدة وآخرهم الملك الاشرف موسى

هذا والرجلان مشتغلان بدفع الصليبيين عن سورية التي كانت سواحلها كلها بايديهم في غضون ذلك ولا تسل عن مواطنهما في الجلاد وايامهما المشهورة في الاعداء فقد استهوت العالمين حتى اشترك في تردادها وتعدادها الكافة. ولئن جرت الفتوحات العظيمة على يد الملك الناصر صلاح الدين فان لنور الدين الفضل اذ هو المؤسس والفارس وصلاح الدين بنى وجنى مع ان نور الدين تركيٌّ الاصل والجنس وصلاح الدين كرديٌّ ولكن هي التربية والتعليم اذا حسنا يستوي في الغُناء الاصفر والاحمر والابيض والاسود إلاَّ قليلاً . وما حصر الفضل قط في عربيّ ولا تركيّ ولا جركسيّ ولا كرديّ ولا فارسيّ بل ولا ارمنيّ ولا روميّ ولا انكليزيّ ولا المانيّ ولا افرنسيّ

وكان الصليبيون موقنين بانهم اذا فتحوا دمشق رسخت اقدامهم في سورية ولذلك اغاروا عليها المرَّة بعد المرَّة فرجعوا عنها مخذولين حتى اذا كان عام ٥٤٣ هـ حاصروها زمناً بقيادة الملك كونراد الالماني ولويس السابع الفرنساوي وبودوين الثالث ملك اورشليم فلم يقدروا عليها لحصانة سورها واستماتة المدافعين وتحمسهم . فنشب القتال بين الفرنجة والمسلمين في سهل المزة وتتابعت الامداد على هؤلاء فكسروا الفرنجة ولحق فَلُّهم بالساحل بعد ان قطعوا اشجار البساتين للتحصن بها وافسدوها رشقاً بالنشاب وحذفاً بالاحجار واحرقوا الربوة والقبة المهدوية . ولابي الحكم الاندلسي قصيدة وصف بها جيش الفرنجة في مُخيَّمِهِ ومعتركهِ ومجتلدهِ ومنهزمهِ وصفاً يقرب من طريقة الافرنج اليوم قال في مطلعها

بشطَّيْ نهر داريا   امور ما تؤاتينا
واقوام رأَوا سفك ال   دما في جلّقٍ دينا
اتانا مائتا الف   عديداً او يزيدونا
فبعضهمو من اندلس   وبعض من فلسطينا
ومن عكا ومن صور   ومن صيدا وتبنينا
اذا ابصرتهم ابصر   تَ اقواماً مجانينا
ولكن حرَّقوا في عا   جل الحال البساتينا
وجازوا المرج والتع   ديل ايضاً والميادينا
تخالهمُ وقد ركبوا   قطائرها حراذينا
وبين خيامهم ضموا ال   خنازِرَ والقرابينا

وما اطمع الفرنجة في افتتاح دمشق الاَّ رخاوة صاحبها مجير الدين محمد بن بوري بن طغتكين فتابعوا الغارة على اعمالهِ واكثروا الفتك برجالهِ حتى جعلوا على اهل دمشق قطيعة كلَّ سنة فكان رسولهم يجيءُ الى المدينة فيجبيها . وفي الروضتين ان نور الدين زنكي لم يسمُ الى اخذ دمشق الا لمعاضدة اهلها للفرنجة واستنصارهم بهم ولما استولى عليها سنة ٥٤٩ ضبط امورها كسائر بلادهِ وحصَّنَ سورها وقلعتها وبني بها المدارس والمساجد واصلح طرقها ووسع اسواقها ومنع فيها المغارم والمظالم وعاقب على شرب الخمر ووقف وقوفاً على المرضى ومعلمي الخط والقرآن ومنع من بيع الخمر في جميع بلادهِ ووقف الكتب الكثيرة واطلق المكوس والضرائب الى ما شاكل ذلك من الاسباب التي كانت مبدأ سعدَ الفيحاء وتربعها في ذرى العلياء فغدا الدماشقة على عهدهِ وعهد خلفهِ الملك الناصر من حسن التربية والحمية الحقيقية بمكان . والناس تبع لامامهم في الخير والشرّ

نعم زَخَرَ عمرانها اذ كان نور الدين وصلاح الدين لا يأْخذان المال الاَّ من وجههِ ولا يصرفانهِ الاَّ في سبلهِ كأَنهما درسا فن الاقتصاد كاحسن ملك اوربي . قال ابن الاثير طالعتُ سير الملوك المتقدمين فلم أَرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرة نور الدين ولا اكثر تحرياً منهُ للعدل فانهُ كان لا يأْكل ولا يلبس ولا يتصرّف الاَّ في الذي يخصهُ من ملك كان لهُ قد اشتراهُ من سهمهِ من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليهِ زوجتهُ من الضائقة فاعطاها ثلاث دكاكين في حمص كانت لهُ يحصل منها في السنة نحو العشرين ديناراً فلما استقلتها قال ليس لي الاَّ هذا وجميع ما بيدي انا فيهِ خازن للمسلمين لا اخونهم فيهِ ولا اخوض نار جهنم لاجلك . هذه كل املاك نور الدين وارداتها وهذا كلامهُ لاقرب الناس اليهِ فقسهُ مع غيره

اما صلاح الدين فقد اتفق مؤرخو الخافقين على انهُ اكمل الناس رأياً وعقلاً وحسن سياسة وضنّ الزمان بمثلهِ ملكاً يميل لخير الامة ويرغب عن الزخارف والرخاء التي تقوض اركان الممالك وتدكُّ معالم الامم حتى انهُ لما مات لم يكن في خزانتهِ سوى دريهمات لا تسمن ولا تغني من جوع

ولئن نجم بين اسرة صلاح الدين ومن خَلَفهم في منصَّة الملك نواجم الشقاق من جرّاء الاستئثار بالحكم واستبد كل منهم بطرف من المملكة او ببلد منها اخذهُ على سبيل الاقطاع وسمى نفسهُ ملكاً فانهم مشوا على قدم نور الدين وصلاح الدين في خدمة البلاد وتخليص السواحل من ايدي الفرنجة . ولم يبرح معني الوحدة بحالهِ الى ما بعد القرن السابع لأَنَّ الحاكم

والمحكوم بقيت فيهما بقية من معرفة واجبهما كما هو الحال عند الغربيين اليوم فكان الحاكم اذا اراد ان يشتطّ في الطلب على الرعايا يوقفونهُ عند حدّ ويخطون لهُ دائرةً لا يتعدَّاها ومثل ذلك قل عن المحكوم فقد كان اذا طمح الى ما ليس من شأنهِ يعاملهُ حاكمهُ بالحسنى ويربأُ بهِ عن أتياهِ الباطل بمعنى ان الحاكم لم يكن مستبدًّا بامرهِ يصرّفهُ كما يشاءُ عليهِ ان يقول وعلى المحكوم ان يفعل منقادًا كالابلهِ ويدعو بملء فيهِ لآمرهِ وناهيهِ مهما بلغ منهُ الشقاء

من اجل ذلك احتفظت دمشق بمركزها وان تكن نزلت بعض درجات عن المكانة التي انتهت اليها في الدولتين النورية والصلاحية . ومما يشعر باستبحار العمران ما ورد من ان الملك الظاهر بيبرس صاحب الفتوحات والوقائع مع التتار والافرنج المتوفى سنة ٦٧٦ ملَّك من المسلمين دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وزليبا وتل باشر وصهيون وبلاطيش ونرزية وحصون الاسماعيلية والشوبك والكرك وشيزر والبيرة وكانت كلها من الحواضر العامرة واليوم اصبح معظمها ضياعاً جراداء مرداء لا كلاً فيها ولا ماء بل مأوى اللصوص يتحيّفها الخراب

وغير خاف ان العمران في كل الامم والبلاد يكون بحسب الادوار المتقلبة عليها وميل الحكام . تفتر حركتهُ وتسكن نأمتهُ حيناً ثم تتجدّد غضاضتهُ وتعود اليهِ حياتهُ . ذكر المؤرخون ان الملك الاشرف بن قلاوون الصالحي الجالس على تخت الملك سنة تسع وثمانين وستمائة مع ما اشتهر عنهُ من الفتوحات وقلة المظالم والمغارم وميلهِ للشام واهلهِ كان مغرىً بالهدم فهدم اماكن بلا داعٍ وفيهِ يقول علاء الدين الوداعي معتذرًا عنهُ لما امر بهدم الاماكن المجاورة للميدان بدمشق ووزع عمارتهُ على الامراء

إنْ أمَرَ السلطان في جِلّقٍ   بهدم ما جاور ميدانهُ
فانهُ قد غار لمَّا رأى   غير بيوت الله جيرانهُ

ولعلّ غيرهُ من الملوك حذوا حذوهُ في الهدم فلاهم يريدون ان يروا آثار غيرهم في الوجود ولا هم يستطيعون تقليدها فتأخذهم الغيرة والنُّعرة ويخربون بيوتهم بايديهم

وما وقف شقاء هذه الحاضرة عند جائحة الصليبيين وغزوات التتار الاولى وغيرهم من الخوارج واهل الدعارة بل جاءها تيمورلنك سنة ٨٠٣ ه بخيلهِ ورجلهِ وارسل رسلاً من قبلهِ صاحبها فقتلهم خلافاً للسنة المتبعة من ان الرسل لا تقتل عادة ولو كان بين المتحاربين حرب البسوس . قال ابن الشحنة حضر قاصد تيمورلنك فقتلهُ نائب دمشق قبل ان يسمع كلامهُ وبئسما فعل فلما أُهين تيمور بقتل رسلهِ ضيق الخناق على المدينة وهمَّ ان لا ينجلي عنها حتى يفتحها ويجعل

عاليها سافلها واعزّة اهلها اذلة واذ اسلمتهُ طوعًا او كرهًا دخلها جيشهُ وانحى عليها ضربًا وقتلاً وتعذيبًا وسلبًا وسبيًا وحرقًا وتخريبًا . وقد بالغ مؤرخو دمشق وحلب في وصف فعالهِ واشبعوا الكلام على ذلك في رسائل خاصة . ولاشتهار حوادثهِ بمبلغ المعرفة اكتفيت بالالماع اليها مع التنبيه الى ان اخبار هذه الوقعة لا تؤخذ الاَّ عن مؤرخ غير متحزب لفئة كابن خلدون واضرابهِ ممن شهدوها او كانوا احياء فنقلت اليهم وكتبوها بتثبت وتفحص . وليقلع من الاذهان ما يتبجح بهِ بعضهم من انَّ كل خراب في هذه البلاد منشأوهُ تيمورلنك وان كان حدث بعدهُ باعوام عدة

هذا وقد حكم دمشق في هذه المدة دولتان احداهما الدولة التركية بمصر والشام وعدد ملوكها اربعة وعشرون ومدة حكمهم مائة واربع وستون سنة واولهم الملك المعز عز الدين ايبك وآخرهم الملك الصالح حاجي بن اشرف شعبان . واما الدولة الجركسية بمصر والشام فكان ابتداؤها سنة اربع وثمانين وسبعمائة وانقراضها سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة على يد العثمانيين وعددهم ثلاثة وعشرون نفرًا اولهم الملك الظاهر سيف الدين برقوق وآخرهم قانصوه الغوري

وهاتان الدولتان التركية والجركسية وان كانتا دون من تقدمهما في الادارة الاَّ انهما تفضلان كثيرًا من الدول بحسنات ملوكهما وضبطهما البلاد ضبطًا حسنًا . ومن حسناتهما ان اهل الحل والعقد منهما كانوا ينصاعون لنصائح حملة العلم رغبة او رهبة. وكم ذكر التاريخ اخبارًا من تحكُّم العلماء النصحاء على الامراء الاقوياء تحكمًا لا يقبلهُ آحاد الناس من اعاظمهم فضلاً عن ملك من احد المتعلقين بخدمتهِ . وهذا ما دعا لان تكون مصر والشام حافلة بصنوف العلم وحَفَدتهِ وجرى آل عثمان وخصوصًا محمد الفاتح على مثال مجاوريهِ في تكثير سواد العلماء في بلادهِ

على انهُ حدث في أُخريات الدولة الجركسية ما يحدث للممالك عند انقراضها فيكون سببًا لاعضال داء في احناء صدرها لا يبرأُ الاَّ بقيام دولة فتية الشباب تخلفها مكانها محمد كرد علي

العمي يبصرون

اذا ذُكرت جريدة اللانست الطبية الانكليزية وأُسند اليها قول قالتهُ او كلام نشرتهُ وعزتهُ الى احد الاطباء المشهورين واستفتحت بهِ جزءًا من اجزائها اصغى اليها القراء عالمين انهم يسمعون كلام ثقة في موضوع هو اعلم بهِ من غيرهِ ولولا ذلك ما تجاسرنا على وضع هذا العنوان لهذه المقالة لئلا يتهمنا القراء بالغلو ان لم يتهمونا بتصديق الخرافات

وموضوع المقالة خطبة للدكتور تشارلس بل تيلر جرَّاح مستشفى طب العيون بمدينة نتنهام في بلاد الانكليز تلاها امام الجمعية الطبية الجراحية في تلك المدينة وصدَّرت بها جريدة اللانست عددها الصادر في ٢٧ ابريل الماضي . وقد انصف الخطيب نفسهُ والعلم الصحيح حيث جعل عنوان خطبتهِ ما ترجمتهُ " المعالجة التي تنجح احيانًا في شفاء العمى الذي يظهر انهُ لا يقبل الشفاء " (The sometimes successful treetment of cases of apparently incurable blindness).

وليس من قصدنا ان نترجم خطبة الخطيب كلها على ما فيها من الفوائد الجمة ولا ان نثبت كل ما ذكرهُ من التعاليل الطبية بل ان نقتصر على ذكر اساليب العلاج التي عالج بها بعض العميان فردَّ اليهم البصر . وقد قسم اساليب العلاج التي استعملها الى اربعة اقسام الاول الكهربائية على اختلاف انواعها . والثاني الادوية الزيبقية بجرعات كبيرة وحدها او مع غيرها من الادوية . والثالث المحوّلات كالفصد والحجامة والعلق (الدود) والحراريق . والرابع معالجة كل مصاب بما يناسب حالهُ من العمليات الجراحية والوسائل العلاجية . وقد ابقينا الكلام بصيغة المتكلم ولو اختصرناهُ كثيرًا وتصرفنا فيهِ بتقديم وتأخير قال

من الذين عالجتهم بالاسلوب الاول رجل عمرهُ ٣٥ سنة أُرسل الى نتنهام ليتعلَّم صناعةً في ملجإِ العميان فانهُ عمي على اثر التهاب في العصب البصري ولما رأيتهُ كان سواد عينيهِ ابيض ولم يكن يميز بين نور النهار وظلمة الليل وقد عولج بكل وسائط العلاج العادية فلم تنجع فيهِ لكني اقنعت ذويهِ ان يأتوني بهِ مرةً او مرتين كل يوم وعالجتهُ بمجرًى من الكهربائية قوي جدًّا قدر ما يحتمل فلم يظهر فيهِ فرق في بادىء الامر فاستنتجت ان شفاءهُ ضرب من المحال لكنني عزمت ان استمرَّ على معالجتهِ مدة أُخرى فظهر فيهِ شيء من دلائل النجاح رأى النور اولاً وميزهُ عن الظلمة ثم زاد جلاءُ بصرهِ رويدًا رويدًا يومًا بعد يوم الى ان صار يمشي وحدهُ من غير دليل واخيرًا انجلى بصرهُ تمامًا وعاد الى عملهِ الذي كان يعمل بهِ قبلما عمي وهو يقرأُ الآن صحف الاخبار ويرى عن قرب وعن بعد تمام الرؤْية وقد مضى عليهِ كذلك اثنتا عشرة سنة

والكهربائية تعيد الى الاعصاب والاعضاء عمومًا قوتها اذا كانت قد ضعفت ولا شيء يقوم مقامها في ذلك ولا سيما اذا كان الضعف ناتجًا عن الانفلونزا او الدفثيريا او البول السكري او التيفوس او التيفويد او الحميات الروماتزمية . فانها قوية محللة وهي آخر واسطة يُلتجأُ اليها اذا ضُمر العصب البصري او ضُعف البصر إما من الشيخوخة او من الامراض المنهكة او من شرب المسكرات وتدخين التبغ

وقد استفاد كثيرون من الذين عالجتهم بها وحدها او مع غيرها من الوسائل ومنهم اناس كانوا مصابين بالهستيريا او العمى المسبَّب عن شلل الشبكية او ضعف البصر الناتج عن فقر الدم او ضمور العصب البصري الناتج عن التيفويد اوغيرها من الامراض المنهكة. ولا يسعني الوقت الآن لزيادة الاسهاب في هذا الباب فانتقل الى الاسلوب الثاني

وهو العلاج بجرعات كبيرة من الزيبق (بيّن اولاً ان الزيبق نفسهُ لا يضرُّ ولو كانت جرعاتهُ كبيرة الاَّ بعض الذين خصُّوا بمزاج يؤَثر فيهِ الزيبق كثيرًا الى ان قال)

وههناصورة فتاة عمرها ١٥ سنة تأخذ الزيبق منذ اربع سنوات . لما رأَيتها اولاً كانت عمياء لا تبصر شيئًا من التهاب القزحية والقرنية ولم تكن حدقتاها ظاهرتين وقد عالجها كثيرون من مشاهير الاطباء وحكموا انها لا تشفى لكنها شفيت تمامًا بالزيبق وجادت صحتها ايضًا

ومن الذين شفيتهم بهِ ايضًا رجل من الاعيان كان اولاً قصير البصر ثم اصيب بالالتهاب المشيمي القزحي تبعهُ انسكاب في الرطوبة الزجاجية فاظلمت عيناهُ حتى تعذَّر ادخال النور اليهما وانارة باطنهما بهِ وعولج بجرعات صغيرة من الزيبق وحكم اشهر الاطباء انهُ لا يشفى .-فعالجتهُ بالكهربائية وبجرعات كبيرة من الزيبق والدلك والبيلوكربين والمحوّلات فلم يمضِ عليهِ شهر من الزمان حتى شفي تمامًا وبقي صحيح البصر الى حين وفاتهِ بعد عدة سنوات . وقد عالجت ثلاثة آخرين مرضهم مثل مرضهِ فشفوا مثلهُ احدهم من محرري الجرائد المشهورين والثاني تاجر معروف والثالث ممثلة من الممثلات الشهيرات وحينما رأَيتها كان قد مضى عليها سنتان وهي عمياء وظهر لي بعد معالجتها ان في عصبها البصري ضمورًا كثيرًا فلم تشفَ تمامًا لكن شفاءها كفى لعودها الى التمثيل

ويستعمل الزئبق حبوبًا (الحبوب الزرقاء) ومرهمًا وبخارًا وحقنًا تحت الجلد . ويلزم غالبًا اضافة المورفيا الى الحبوب ويعطى معها البيلوكربين وجرعتهُ نصف قمحة من الداخل او يحقن تحت الجلد بعشر قمحة الى ربع قمحة

اما المحولات فافضلها الفصد (واسهب هنا في فوائد الفصد ولام الاطباء لاقلالهم منهُ وقال انهُ لا علاج غيرهُ ينجي من الموت في بعض الاحوال المرضية . وربما عدنا الى ذكر كلامهِ في هذا الموضوع في فرصة أُخرى ثم قال) اذا كانت العين رمداء تعذَّر علينا الآن اقناع احد باستخراج الدم ولكنني شفيت واحدًا حالاً بوضع سبعين علقة (دودة) على صدغهِ . ومن المحولات ما يفيد مثل استخراج الدم وذلك بتحويل الفعل العصبي من جهة الى اخرى مثل الخردليات والحراريق والكي بالحمصة واكياس الثلج واكياس الماء السخن والتنطيل ونحو

ذلك . واني اوضح ما اريد ببعض الامثلة : اذا اصابت انسانًا صدمة من ادخال القثاطير توقف بولهُ وسُمَّ دمهُ من جرَّاء ذلك الاَّ اذا حوَّلتَ انتباههُ من كليتيهِ الى جلدهِ . واذا خافت ابنة نحيفة الجسم خوفًا شديدًا فقد يصيبها خفقان القلب وجحوظ العينين ان لم يُحوَّل انتباهها حالاً الى شيءٍ آخر . واذا كان انسان مصابًا بالربو وجاءَتهُ النوبة وهو على ظهر فرس وجمح الفرس بهِ حينئذٍ زالت عنهُ نوبة الربو لان انتباههُ يتحوَّل كلهُ الى جموح الفرس . واذا كانت امرأة مصابة بشلل النصف السفلي من جسمها وسمعتْ واحدًا يقول النار النار نهضت على قدميها حالاً وخرجت مسرعة ولو مضى عليها اشهر بل سنين كسيحة لا تستطيع المشي . والمصابون بالصرع (داء النقطة) لا تصيبهم نوباتهُ وهم راكبون على الخيل . وكلنا يعلم ان الاضطراب الشديد ينشف الريق والحمس الديني يزيل الم النار ورؤْية طبيب الاسنان تزيل الم الضرس

لما انتشرت الدودة التي تأْكل بنجر السكر في المانيا وخيف من انها تفسد زراعتهُ كلها انقذهُ الاستاذ كوهن منها بزرعهِ لها نباتًا آخر بجانبهِ تحوَّلت اليهِ فنجا منها البنجر . فاذا خيف على عضو من اعضاء الجسد ان يتلف من الالتهاب استطعنا ان ننقذهُ بتحويل الالتهاب الى عضوٍ آخر لا يضرُّ التهابهُ فيتحول الفعل العصبي اليهِ ولا تستطيع الطبيعة ان تقوم بالتهابين في وقت واحد فاذا اشتدَّ الواحد ضعف الآخر . واذا خيف على البصر من التهاب اعضاء العين فاي سبيل لنجاتها اسهل واسلم من ان تحدث تهيجًا او مصرفًا في النقرة (قفا العنق) او الصدغ او الساعد او مكان آخر . ولا يخفى عليكم ان المستر بوت كان يشفي الفالج بالخلال والكي ونحوهما على جانبي العمود الفقري (سلسلة الظهر) وان المصابين بالحمى الصديدية ينقذون منها بتكوين خراجات صناعية فيهم في النسيج الخلوي في الالية او الظهر او الساق . واثبتُ ما في صناعة الطب ان حدوث الالتهاب او الصديد في مكان يبطل حدوثهُ في مكان آخر ويخففهُ لان الطبيعة لا تستطيع ان تقوم بالاثنين معًا فاذا قوَّينا الواحد ضعف الآخر . وهذا المبدأ كان اسلافنا يعرفونهُ ويعملون بهِ اكثر مما نعرفهُ نحن او نعمل بهِ

الاسلوب الرابع وهو اذا عالجتَ المصاب بتحويل انتباه اعصابهِ بالحمامات والمحوّلات والمهيجات فاقطع السبب المرضي كالسكَّر والحامض الاوريك بالغذاء والفصد واقطع السبب الخاص بالمرض كالنقرس والروماتزم والسفلس بالعلاجات الخاصة ثم الجأْ الى العمليات الجراحية التي تقتضيها حال كل مصاب على حدتهِ كعمل حدقة صناعية واستخراج المتحصلات الالتهابية واستخراج البلورية نفسها اذا لزم الامر وقطع الاربطة فانهُ بمثل ذلك قد يعاد البصر حيث قُطع الامل من عودهِ . وهنا مثال على ذلك امرأة من سكان لندن عمرها ٢٧ سنة اصيبت منذ عشر

سنوات بالالتهاب المشيمي القزحي في عينيها وتردَّد عليها هذا الالتهاب مرةً بعد أُخرى ومنذ اربع سنوات سدَّت اللمفا حدقتيها . وعالجها اشهر اطباء العيون وعملوا لها اربع عمليات عمليتين في كل عين فلم تستفد شيئًا على ما يظهر ولم تعد ترى شيئًا وكان الم عينيها شديدًا فقر القرار على نزع عينها اليسرى وسلَّمت هي باستخراج عينها اولاً ثم رفضتهُ بتاتًا قبل استخراجها واتت اليَّ وكان الالتهاب شديدًا في عينيها فعالجتها بالحمصة (بالكي) وجرعات كبيرة من الزيبق فدرَّ لعابها شديدًا حتى اتعبها ولكنهُ اراح عينيها ولما زال تعب الالتهاب كلهُ وحسبتُ انني ازلت القسم الجوهري من دائها ازلت جانبًا من اللمفا والقزحية التي فسدت من عينها اليمنى فوجدت البلورية مظلمة كما تكون غالبًا في هذه الحال فعملت لها عملية القدح (اي عملية الكتركتا) حسبما تقتضيهِ الصناعة وتركت فيها حدقة رجوت انها تكفيها للرؤْية لكن اللمفا سدَّتها حالاً فصنعت لها حدقة ثانية فانسدَّت ايضًا ثم صنعت حدقة ثالثة فنجحت . وقد صار بصر هذه السيدة على ما يرام بعد ان بقيت عمياء اربع سنوات . وهنا كتاب منها وصفت لي بهِ سرورها بما شاهدتهُ من الزينات يوم رجوع المتطوعين الى مدينة لندن

وقد تسألونني ماذا جرى لعينها اليسرى التي حكم اطباء العيون بنزعها فاجيب انني اجريت فيها العمليات التي اجريتها في اختها اليمنى فشفيت مثلها وقد كتبت اليَّ تقول ما نصهُ

" صرت ارى جيدًا بعيني اليسرى "

وهنا حادثة اخرى تظهر فيها فائدة الإقدام . هذا الشاب اصيب في العشرين من عمرهِ بالالتهاب المشيمي القزحي وعالجهُ اشهر اطباء العيون في اكبر مستشفيات العيون ثلاث سنوات واخيرًا اصيبت عيناهُ بالكتركتا ولما رأَيتهُ كانت حدقتاها بيضاوين كاللبن وقلما كان يفرق بين النور والظلمة فعالجتهُ بالكهربائية والزيبقيات والمعرّقات والمحوّلات ولما صلحت حالهُ وصار عمل العملية ممكنًا استُخرجت البلوريتان من عينيهِ . وعيناهُ الآن على غاية الصحة كما ترون وقد عاد الى معاطاة اعمالهِ

ومن ذلك امرأَة عميت وعمرها ٢٢ سنة وعولجت اربع سنوات من غير جدوى عالجها كثيرون من اطباء العيون واخيرًا اشاروا عليها ان تقيم في ملجإِ العميان وحكموا بانها لا تشفي ولما رأَيتها اول مرَّة كانت حدقتاها منقبضتين لاصقتين بمحفظتي العدسيتين تسدهما مادة كلسية وكانتا لينتين جدًّا تحت الضغط فعالجتها بالعلاج الذي تستدعيهِ بنيتها وبالكهربائية حتى اذا صلحت حالها استُخرجت المادة الكلسية من عينيها فعاد بصرها سليمًا وهنا مكاتيب منها كتبتها لي لا استطيع ان اخط احسن منها

فلو تُرِك هؤُلاء الناس من غير علاج لقضوا في عمى البصر سنين كثيرة او لماتوا عمياً . وهنا ما يؤَيد ذلك امرأَة جاءَت تستشيرني في نتنهام وعمرها ستون سنة مضى عليها كفيفة ثلاثون سنة ولدت في اثنائها ثلاثة اولاد لم ترَ احداً منهم . اصيبت وهي في الثلاثين من عمرها بالالتهاب المشيمي القزحي في عينيها كلتيهما وشفيت من هذا الالتهاب بالمعالجة لكن بقي منهُ اثرٌ في عينيها . ثم عاودها فزاد ضعف عينيها الى ان كفَّ بصرها تماماً وهي على ثروة طائلة فمضت الى بلدان اوربا تستشير اشهر اطباء العيون فيها وبقيت على ذلك الى ان اتت اليَّ وكانت حدقتا عينيها قد صارتا نقطتين صغيرتين تسدها اللمفا سداً تاماً فاستخرجت البلوريتين وصنعت لها حدقة صناعية في عينها اليسرى وهي الآن تقرأُ وتكتب بسهولة .

وهنا رجل آخر لما رأَيتهُ كان قد مضى عليهِ اربعون سنة وهو اعمى فوجدت حدقتي عينيهِ مسدودتين بمادَّة كلسيَّة فازلتها منهما وصنعت لهُ حدقة صناعية في عينهِ اليسرى وهو يرى بها الآن جيداً ويقرأُ ويكتب ويجول مثل غيرهِ من المبصرين

هذه خلاصة الخطبة وكأَنَّ الخطيب احيا بها صناعة العرب في طب العيون كما سنبينهُ في فرصة اخرى واثبت ما كان يعوّل عليهِ الاطباء والدجالون في هذا القطر والقطر السوري كما يتذكرهُ الكهول

* * *

الطاعون

مذكرة للمستر بتنشنغ مدير مصلحة الصحة ملحقة بتقرير اللورد كرومر

اول اشارة عن حدوث الطاعون في بورت سعيد بلغت ادارة الصحة في ٣٠ ابريل سنة ١٩٠٠

وفي اليوم التالي قام المستر غراهم الى بورت سعيد ومعهُ الدكتور بتر بكتيريولوجي المصلحة للبحث عن الحادثة المشتبه بها واتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة الوباء اذا ثبت ان الحادثة منهُ . وزال كل شك بفتح الرمَّة وبالبحث بكتيريولوجياً في حادثة أُخرى كانت في المستشفى الاميري فثبت ان المرض هو الطاعون الدبلي بعينهِ ثم ثبت انهُ حدثت حوادث اخرى قبل هاتين الحادثتين كما سيجيءُ

والاثنان المشار اليهما كانا يسكنان غرفاً في البناء الكبير الذي فيهِ الالدرادو وراءَ شارع التجارة علي مقربة من الرصيف احدهما يوناني والآخر سوري . ووجد لدى البحث ان امرأَة توفيت في ذلك البناء في ٢٩ ابريل باعراض اتضح الآن انها اعراض الطاعون وقيل ايضاً

ان ايطاليًّا مات بمثل هذه الاعراض في ٢٧ ابريل في بيت قريب من ذلك البناء ويونانيًّا توفي في ٢٣ ابريل وكان ساكنًا في حي العرب ويونانيًّا آخر توفي في ٢٠ ابريل وكان ساكنًا قرب الالدرادو . وقد شخَّص الاطباء الاوربيون الذين عالجوهم انهم ماتوا بالانفلونزا المصحوبة بالفلغمون او الانفلونزا المصحوبة بالتهاب سحايا الدماغ ولكن ثبت بالبحث حينئذٍ ان مرضهم كان الطاعون وانهم ماتوا بهِ ولذلك فالطاعون ظهر في بورت سعيد من قبل ذلك الحين ثم ثبت ان يونانيًّا مات في الطاعون في حي الافرنج في ٥ ابريل وعلمت حوادث اخرى قبلها حتى شهر مارس يظهر من وصفها ما يدعو الى الترجيح بانها كانت من الطاعون . ثم ان سرعة انتشار الوباء في الاسبوع الاول من شهر مايو وظهورهُ في كل اقسام حي الوطنيين يدلان على انهُ كان في المدينة قبل ان بلغ خبرهُ ادارة الصحة بزمن طويل

كتب المستر غراهم ما يأتي

" لما وصلتُ الى بورت سعيد كان قد دخل المستشفى اثنان من حي العرب وفي اليوم التالي (وهو ٢ مايو) أُخبرنا عن اثنين آخرين في جهتين مختلفتين من احياء الوطنيين . وفي ٣ مايو توفي شخص بالطاعون في حي العرب وحدثت حادثة اخرى في اليوم الخامس . وفي اليوم السادس دخل المستشفى وطنيان واوربي وفي اليوم السابع اصيب وطني من حي الوطنيين

" فثبت حالاً ان العدوى منتشرة في المدينة كلها وان امامنا وافدةً لها هاتان الصفتان

" الاولى انها الطاعون الدبلي نفسهُ

" والثانية انها منتشرة انتشارًا كليًّا في كل القسم الوطني من المدينة وانتشارًا جزئيًّا في القسم الاوربي

" ولذلك رأينا ان لا بد لنا من اطباء واناس خبيرين بعملية التطهير وجمهور من العمال يقسم فرقًا ويوزَّع في احياء المدينة لاجراء التدابير اللازمة لمقاومة الوباء التي اجريناها في الاسكندرية وهؤُلاء لم نجدهم في بورت سعيد فاتينا من الاسكندرية باناس خبيرين بالتطهير وباناس يديرون العمل واستخدمنا عمَّالاً من بورت سعيد

" وفصلنا جانبًا كبيرًا من المستشفى الاميري وخصصناهُ بالمصابين من الوطنيين . اما الاوربيون المصابون فعولجوا كلهم ماعدا اربعة في المستشفى الاميري في قسم الامراض المعدية الى ان أُعدت مستشفياتهم الخصوصية . وقد اصبنا في ما عملنا لاننا وجدناهُ اسهل من إعداد بناءٍ خاص بعيد عن المدينة

" ورأينا في اول الامر ان الاهالي يكرهون ان يؤْخذ مرضاهم الى المستشفى وقد قاوموا

عمّال الحكومة اكثر من مرة واتلفوا امتعة الحكومة واضروا احيانًا برجالها . وقد أُزيلت هذه الكراهة بان طُلب من وجوه المدينة فعينوا فرقًا من العوَّاد حسب درجات الاهالي وكانت كل فرقة تزور المستشفى وترى المصابين الذين قاربوا الشفاء فيخبروها بما لقوا من حسن المعاملة والخدمة حتى ترجع وتخبر اقاربهم بذلك . وكانت النتيجة ان كثيرين جاءوا بعد ذلك من انفسهم ودخلوا المستشفى وان البعض اخبروا الحكومة عن مصابين اصيبوا من عيالهم

” والذين خالطوا المصابين كانوا يعزلون في ابنية كبيرة كل فريق منهم على حدتهِ لا يختلط الرجال بالنساء ولا عائلة منهم باخرى ويبقون تحت المراقبة ستة ايام يقدَّم لهم فيها الطعام الجيد والذين كانوا منهم من العمّال المكتسبين دُفعت اليهم اجور بدل منعهم من العمل . ولم يظهر الوباء الاَّ في اثنين منهم وكان ظهورهُ قبل آخر اليوم الثاني من عزلهم ولذلك غيرنا طريقة العزل حينما قلَّ قلق الناس وقل الخوف من انتشار الوباء بهربهم من مكان الى آخر فصرنا نسمح للعائلة التي خالطت المصاب بان تتطهَّر هي وامتعتها كلها و يبقى نساؤُها واولادها في البيت و يعرُض رجالها المتسببون انفسهم مرتين في اليوم على طبيب القسم الذي هم فيهِ

” وظلت الحوادث تحدث في كل شهر مايو ولكننا بقينا مالكين ناصية الوباء . وزادت حوادثهُ في اوائل شهر يونيو لانهُ ظهرت حوادث جديدة في حي العرب وفي اكواخ مجتمعة قرب معمل الغاز . واستمرَّ الوباء في هذه الاكواخ استمرارًا الجأ مصلحة الصحة الى هدمها وبناء غيرها في مكان صحي فهدمت وكانت من الخشب ونُقل خشبها الى مكان غربي حي العرب وبنيت فيهِ . وخيف اولاً من ان جراثيم العدوى تكون لاصقةً بهذه المواد فيظهر الوباء في الاكواخ التي تبنى منها ولذلك جمع العمال كل ما وقع منها من الحطام وقت هدمها وحرقوهُ . وبقوا تحت المراقبة وغسلت ايديهم واقدامهم بالمطهرات . ولم يظهر الوباء في هذه الاكواخ بعد ذلك ولا ظهر في العمال الذين هدموها

” اما اصل العدوى وطريق وصولها الى بورت سعيد فلا يعلمان تمامًا لانهُ لم تقم ادلَّة قاطعة على ذلك . ولكن هذه المدينة معرَّضة تمام التعرُّض للوباء حتى يُعجب من عدم دخولهِ اليها قبل ذلك الحين فانها واقعة بين المشرق والمغرب والسفن الآتية من البلدان الموبوءة تصل اليها كل يوم واهاليها من وطنيين واوربيين يعتمدون في معيشتهم على الاتجار مع هذه السفن بالبيع والشراء فمن الغريب انها بقيت سليمة من الوباء مدة طويلة

” وايضاحًا لذلك نقول ان سكانها الوطنيين اكثرهم من الفحامين الذين يحملون الفحم الى السفن المارَّة بمدينتهم فهم في اتصال دائم مع السفن الآتية من الموانى الموبوءة . وتأخذ

السفن منها كثيرين من الوقَّادين وتمضي شرقًا ثم تعود بهم وقد تقف في طريقها في مواني موبَّأة او يدخلها اناس مصابون بالوباء . ونوتية قوارب المؤُونة وعددهم كثير جدًّا يتجرون مع كل السفن الواردة على بورت سعيد من غير تمييز . ولا يخفى ان العدوى قد تكمن في مكان مهما شدّدت المراقبة الصحية فيمكن نقلها من السفن الى البر بالفحامين او الوقادين او نوتية قوارب المؤُونة وعليهِ لا يجد الوباءُ اقل صعوبة في دخولهِ هذه المدينة

” ثم ان بورت سعيد كانت في أوائل العام متصلة بسورية واسيا الصغرى والبحر الاسود وجزائر اليونان وأُعلن رسميًّا وجود الوباء في السواحل السورية بعد ذلك . فمن المحتمل ان العدوى بلغت بورت سعيد من مكان اقرب اليها من الهند

”ولكن ان كانت هذه الظنون لا تغني فتيلاً اذا لم توجد الادلة القاطعة فالبحث عن الطرق التي يمكن ان تدخل بها العدوى لا يخلو من النفع . وتعيين طبيب في بورت سعيد وتسجيل اسماء الداخلين قد يفيدان في تقليل الخطر بازدياد المراقبة . واذا عُمل بمآل المذكرة المرفوعة في ٢٨ اغسطس وهو مراقبة الوقادين امكن منع دخول العدوى بهم

” وتبقى مسأَلة الفحَّامين وهي مسأَلة كثيرة المصاعب ولكن يرجى ان يوجد اسلوب يقلل الضرر الذي يمكن ان ينتج منهم على قدر الامكان

” اما مسأَلة فعل الجرذان في نقل العدوى فلم تجد ثبتًا جديدًا في ما شوهد في بورت سعيد . فقد وُجدت الجرذان الميتة من الطاعون في جانب من المدينة ولم يظهر الوباءُ فيهِ . ووجدت جرذان مطعونة في اماكن أُخرى من المدينة وظهر فيها الطاعون بعدئذٍ

”و يظهر انهُ قد بولغ كثيرًا في ما تفعلهُ الجرذان والأَولى ان تعدَّ في جملة الحيوانات التي يفتك الطاعون بها كما يفتك بالناس لا ان يحسب لها شأن كبير في تولُّد الوباء ونقلهِ ونشرهِ

”ومما يدلُّ على كيفية حصول العدوى وفائدة النظافة حادثة شيخ الحراقين فان وظيفتهُ مراقبة الذين يحرقون الحطام والمواد الفاسدة وكان عندهُ دائمًا برميل من مزيلات العدوى ليغسل بهِ يديهِ وقدميهِ وايادي رفاقهِ واقدامهم وأُعطي حذاءً لكي يحتذي بهِ ففضَّل المشي حافيًا قائلاً انهُ اسهل عليهِ . وفي السابع عشر من مايو ترك عملهُ الظهر ووُجد في المساء فاقدًا الشعور فنُقل الى المستشفى وبهِ طعنة كبيرة ثم مات من الطاعون الدبلي دلالة على ان العدوى وصلتهُ من بعض المواد الملطخة التي اتي بها لتحرَق

” واصيب في بورت سعيد ٩٢ بالطاعون أُتي بخمسة وسبعين منهم الى المستشفى ووجد ١٧ موتى خارج المستشفى ومات من الذين دخلوا المستشفى ٢١ اي مات ٢٨ في المئة من الذين عولجوا واذا

اضفنا اليهم الذين وجدوا موتى خارج المستشفى اي لم يعالجوا بلغ عدد الوفيات ١٤ في المئة

”واذا اخرجنا من عدد هؤلاء كل الذين ماتوا من قصور القلب عن قضاء وظيفتهِ قلَّ عدد الوفيات من الطاعون نفسهِ كثيرًا جدًّا فان كثيرين ماتوا وهم في دور النقه لانهم جلسوا او مشوا او عملوا عملاً آخر طفيفًا شعروا انهم قادرون على عملهِ

”اما من حيث المنازل التي يقيم فيها المطعونون فوُجد ان اكواخ القصب والحصر مثل الاكواخ التي يقيم فيها المصطافون في رأس البر تقام بسرعة وبقليل من النفقة وهي وافية بالغرض بوضع فيها المطعونون ويعالجون في ايام القيظ واذا اشتدَّ الحرُّ سهل وضع سقف آخر لها فوق سقفها تخفيفًا للحر . واذا وقع المطر واشتدَّ البرد امكن تبطينها بالطين والقش

”والاكواخ التي اقمناها في بورت سعيد استعملناها للاوربيين الذين ضاق عنهم المستشفى الاميري الى ان تمَّ مستشفى اليونان ومستشفى الطليان

”وقد جرَّبنا جانبًا من المصل الواقي الذي صُنع في القاهرة حسب اسلوب هفكن وطعمنا بهِ بعض المصابين في المستشفى وبعض المطهِّرين ولكن لم نستطع ان نصل الى نتيجة قطعية لاسباب معلومة ولم يطلب احد ان يطعَّم بهِ من تلقاء نفسهِ“

وابيح للاهالي ان يتركوا المدينة ويذهبوا الى حيث يشاؤُون ولم يوضع حولها نطاق صحي ولكن روقب الذين ساروا منها في القوارب بطريق بحيرة المنزلة الى دمياط والمطرية وغيرهما من المدن التي على شاطئ البحيرة اعتقاد ان الناس الذين يهاجرون المدينة وبهم الوباء يفضلون هذا الطريق على سكة الحديد مخافة ان يكشف امرهم

وكل الذين وصلوا الى دمياط والمطرية من بورت سعيد كانوا يراقبون طبيًّا يُغسَلون وتطهَّر ثيابهم ويبقون في بيوتهم تحت المراقبة سبعة ايام فكشفت عدة حوادث مشتبه فيها في دمياط ولكن لم بوجد ميكروب الطاعون الاَّ في واحدة منها ويحتمل ان غيرها كان من الطاعون ايضًا ولكن الطعنات كانت قد تقيحت فيستحيل اكتشاف الميكروب فيها . ولم يسمح لاحد ان يسافر في بحيرة المنزلة من بورت سعيد الاَّ الى دمياط والمطرية

ثم اقيمت نقطة طبية في كبوتي على بحيرة المنزلة قرب بورت سعيد لمنع من فيهم اعراض مشتبه فيها من السفر

وراقب اطباء الصحة الناس مراقبة دقيقة في كل مديريات الوجه البحري . وقد بلغ مصلحة الصحة خبر اناس كثيرين مشتبه فيهم من اماكن مختلفة ولكن الفحص البكتيريولوجي لم يثبت وجود الطاعون في احد منهم

وعانى رجال الصحة المشاق في بورت سعيد وقام عليهم الغوغاء مرة او مرتين ولكن لم يحدث من ذلك ضرر كثير . وكان اشد المقاومة من الاوربيين لا من الوطنيين . واهالي بورت سعيد يعتمدون في معيشتهم على الاتجار مع السفن المارَّة بهم فقلَّت اعمالهم مدَّة الوباء لانهُ لم يسمح لاحد من الركاب ان ينزل في مدينتهم حينئذٍ . فحسبوا ان خسارتهم مسبَّبة عن رجال الصحة لا عن الحجر الصحي الذي وضعتهُ البلدان الاخرى على السفن الواقفة في بورت سعيد . وزاد جهلهم لحقيقة الحال بالمقالات التي كانت تنشر في الجرائد المحلية ويهان بها رجال الصحة ويهزأُ بهم

الاسكندرية — لم يحدث في الاسكندرية حادثة مشتبه فيها حتى ٧ مايو اذ ماتت امرأَة في حي القرموص وثبت من رمتها انها ماتت بالطاعون . وكانت هذه المرأَة من جامعي الخرق وفي الحي الذي وجدت فيهِ ميتة مخازن كثيرة للخرق . ثم حدثت حوادث اخرى في ذلك الحي بينها فترات قصيرة وحدثت حوادث اخرى في احياء اخرى والفترات بينها قصيرة حتى لم يكد يبقى حي من احياء المدينة لم تحدث فيهِ حادثة او حادثتان . الاَّ ان الوسائط الفعالة كانت تستأصل شأفة الوباء حالاً . وقد بقي الوباء في المدينة زمناً طويلاً ولكنهُ لم يبلغ مبلغاً عظيماً وسبب ذلك ان كل حادثة كانت تُتبع جيدًا ويعزل كل مَن اتصل بها ويُجرى التطهير على اتم ما يكون

وبلغت الحوادث كلها من ٨ مايو الى ١٣ نوفمبر وقت آخر حادثة أُعلمت بها مصلحة الصحة ٣٨ حادثة انتهى ٢٠ منها بالموت

وحالما عُلمت الحادثة الاولى أُجريت التدابير الصحية التي وفت بالمراد في العام السابق ولا يزال كثير منها جاريًا وسيبقى جاريًا السنة كلها سواءٌ ظهر الطاعون او لم يظهر مثل مراقبة الركاب الآتين من مواني البحر المتوسط ومراقبة كل الفنادق الحقيرة والقهوات

ويصعب علينا ان نتحقق ما اذا كان الطاعون قد ظهر في الاسكندرية سنة ١٩٠٠ من عدوى بلغتها جديدًا او من عدوى كانت كامنة فيها

ولا يخفى ان بين الاسكندرية وازمير وبيروت ونحوهما من المواني تجارة واسعة . وأُعلن وجود الطاعون في ازمير بعدما أُعلن وجودهُ في بورت سعيد بزمن قصير بين اليونانيين . والاخبار الواردة من ازمير في هذا الشأن قليلة موجزة ومع ذلك عُلم منها انهُ حدثت عدة حوادث اخيرًا في جوارها من مرض معدٍ لهُ اعراض رئوية قتَّالة وقد شخص اطباء الصحة هناك انهُ الانفلونزا الخبيثة . الاَّ ان وصف هذه الحوادث يدل على انها مثل الطاعون الرئوي لاسيما وان تشخيصها لم يؤيَّد بالفحص البكتيريولوجي . وقد ذُكر قبلاً ان الاطباء في بورت سعيد

شخصوا الحوادث الاولى التي شاهدوها من حوادث الطاعون بالانفلونزا الدماغية والانفلونزا المصحوبة بالفاغمون

وكل الوسائل التي رآها رجال الصحة لازمة استُعملت في الاسكندرية من غير تعب ولكن ما دام الوباء موجوداً في مواني كثيرة شرقي القطر المصري وغربيهُ فلا يبعد ان يظهر فيهِ من وقت الى آخر ولو ثبت نجاح الوسائل التي استخدمت في الاسكندرية و بورت سعيد سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٠ ولذلك احسنت الحكومة الخديوية بمنحها مبلغاً من المال هذه السنة لينفق على الوسائل الواقية من الوباء لانهُ اذا عُرفت الحادثة الاولى التي تحدث في مدينة من مدن القطر المصري البحرية واتخذت الوسائل اللازمة حالاً فلا اظن ان الوباء ينتشر بعد ذلك انتشاراً كثيراً

واستلفتُ انظار فخامتكم في ختام هذا التقرير الى الاعمال العظيمة التي قام المستر غراهم والماجور غارنر والدكتور بتر والدكتور غوتشلك لاستئصال الوباء في بورت سعيد والاسكندرية خدمة للحكومة الخديوية (الامضا) ه . ه بنتشنغ

رواية امينة

الفصل السادس

جاء شهر رمضان . الصوم نهاراً والولائم ليلاً . تزاور الاصدقاء والخلان ومخرت السفن في البوغاز تقلُّ الشبان وهم يغنون و يطربون والهوانم يرقبنهم من وراء الشبابيك ويرشقنهم بالازهار والرياحين . واوقدت المصابيح الكثيرة في حوانيت بيرا . وتوالت الليالي الراقصة في شكلي بعد ان كان منذ سنوات قليلة من اقل الاحياء عمارةً . هذه المراقص قذًى في عيون الهوانم لانهنَّ محرومات من الذهاب اليها ولان كثيرين من الشبان عكفوا عليها وتركوا عادتهم القديمة الذهاب في القوارب ونشد اناشيد الحب والغرام

ظهرت مجالي الزينة في كل القصور ما عدا قصر نصرالله باشا لان نافذ بك لم يكن قد تعافى . شفي من مرضهِ وذهب الى السر عسكرية مرتين ولكنهُ كان لا يزال ضعيفاً جداً لا يستطيع الخروج ليلاً

كانت الليلة الثالثة من رمضان وكان الحرُّ شديداً فلم نكد ننهض عن الطعام حتى خرجنا الى الحديقة ووضعت المصابيح في الرواق فاتانا من نورها ما يكفي ليرى بعضنا بعضاً .

وخرج نصر الله باشا وادهم بك لزيارة اصدقائهم ومضى علي بك الى بيرا وكان سلوك نافذ بك قد تغير في الاسبوعين الاخيرين فجعل يكلمني كلام الصديق الى الصديق وكان تصرُّفهُ هذا وسطاً بين الحالتين السابقتين حالة التودُّد الشديد والنفور الشديد . والظاهر ان شيطانهُ تغلَّب عليهِ تلك الليلة فجعل يتصدَّى لي ولمحتْ وحيدة هانم منهُ ذلك فزجرتهُ وقالت اليك عن هذه المسكينة واسمع قصة عادلة نتر . وكانت هذه المرأة تحكي لنا حكاية طويلة ووقفت عن الكلام حينئذٍ . فقال لها ما لكِ وقفتِ عن الكلام يا اماهُ انسيتِ عمَّن كنتِ تتكلمين عن الرجل الذي هجم على خمس مئة وحدهُ وعسى ان يغلبهم . فقالت نعم باذن الله فانهُ مؤْمن وهم كفَّار . ما قولك في ذلك . فقال لا شيء ولكن يظهر انهُ لم يبقَ بيننا احد من المؤْمنين لاننا لا نرى احداً يهجم على خمس مئة وحدهُ ويتغلب عليهم . ولا شبهة في ان الرجل من اسلافنا كان يساوي عشرة منا

ولما قال ذلك ادارت شيستا وجهها كانها استاءت من كلامهِ ووضعت بهية ابنة وحيدة هانم ذراعيها حول عنقهِ وقالت لهُ اني لا احب هذه الحكايات لان مس آمي تقول انها مضرَّة

وكانت مس آمي هذه معلمة تأتي ثلاث مرات في الاسبوع وتعلم الاولاد الانكليزية والفرنسوية

فقال لها كيف عرفتْ هل سمعتْ هذه الحكايات منها . فاجابتهُ كلاَّ ولكن جودت حكاها لها فقالت لا يليق بالاولاد ان يسمعوا هذه الحكايات وحكينا لها حكايات امينة فاستحسنتها وقالت هذه حسنة جداً

فالتفت اليَّ وقال لي اسمعتِ يا امينة ما قالتهُ مس آمي فهي لا تحسب غيرك اهلاً لقص قصص يقبلها ذوقها فاسمعينا هذه القصص

فقلت لهُ ان قصصي لا تحكى الاَّ للصغار . فقال اذاً عدّيني منهم لاني مثل بهية لا احب حكايات عادلة نتر . ثم التفت اليها وقال لها دعينا من هذه الخرافات يا اماه وتعالي ابصري لنا بختنا ان كانت الاصداف معك

فقال الجواري احسنتَ يا نافذ بك تعالي ابصري لنا بختنا وابتدئي بهانم افندي

فضحكت هانم افندي وقالت ما لكم وبختي فاني عجوز ولكن اعطوني صدفة لارى بها بخت شخص آخر . فقال نافذ بك عرفتُ من تقصدين فلا يهمني ما يكون بختي تعالوا يا اولاد قد حرمتكم من الحكاية ولا بدَّ لي من ان اعوّضكم شيئاً آخر تعالوا نذهب لنصطاد البومة التي اقلقت امي البارحة فاننا اذا تركناها تبني عشها في الكشك حسبت امي ذلك دليل الشؤْم . وهي الآن في اعلى البرج فوق التلة

فنهض الاولاد كلهم وقالوا لهُ هيَّا بنا ياعمَّاهُ . فصرخت ولية هانم اتمضون في الظلام لا تأخذهم في هذه الظلمة لئلاَّ تلسعهم حية او عقرب . فقال لها سكني روعك فاني لم أرَ والدة اشد منكِ قلقاً على اولادها . انظري الى وحيدة فانها لم تقل شيئاً ولم تخَف على ولديها . فقالت وحيدة لا خوف على الصبيان ولكن بهية تخاف جدًّا فلا تأخذها معك . فقالت بهية لا اخاف اذا ذهبت امينة معي قولي لها يا امي لتذهب معي . فقالت امها كلاَّ لا تستطيع ان تذهب معكِ اذ لا بدَّ لكم من المرور في السلاملك وامينة لا تستطيع ان تمر بين الرجال . فقال جودت ألا تستطيع ان تغطي رأسها . وقال محسن بن علي بك الاكبر لماذا لا تأتون كلكم ألا يمكنهم ان يأتوا يا عماهُ . فقالت ولية هانم ياحبذا ولكن ذلك ضرب من المحال . فقال نافذ بك لا ارى ما يمنع ذهابنا كلنا اذهبْ يا جودت وقل للرجال ان يبعدوا من هناك . فقالت لهُ امهُ لعلَّ اباك يعترض على ذلك . فقال لها ان اعترض فانا اتحمل اللوم كلهُ . ونحن الآن في رمضان وكل احد يخرج من بيتهِ ليلاً ولسنا قاصدين الاَّ ان نمشي في ارضنا تعالي يا امي ولا تمنعي الاولاد من سرور ليلة. وامسك بيدها وانهضها ووضع شالاً علي كتفيها وقال لها غطي بهِ رأسكِ ان خفتِ ان يراكِ احد . فقالت أأنا ايضاً ألا يمكنكم ان تذهبوا بدوني . فقال كلاَّ اتظنين اننا نذهب ونتركك وحدكِ هو ذا ابي ما تقول افندم فان مرادي ان اذهب مع الاولاد والبنات الى اعلى التلَّة وامي تظن انك لا تستحسن ذلك (وكان نصر الله باشا قد دخل حينئذٍ) فقال لماذا لا استحسنهُ ولكن لماذا لم تختاروا ليلة انور من هذه الليلة فان الظلمة حالكة تحت الاشجار . فقالت ولية هانم وهذا هو المقصود حتى نضحك على مَن يخاف . فقال اذهبوا اذاً وساتبعكم حالما اظن انهُ ينقطع ورود الزوار وضعوا المصابيح في الكشك وخذوا القانون معكم وساقول للخدم ليأخذوا لنا العشاء الى هناك فنبقى الى المدفع الاخير . لا تضعوا اليشامك ولكن اخبروا الرجال ليبعدوا من الطريق

كان مصيف نصرالله باشا مثل سائر القصور على البوسفور وراءهُ تلَّة عالية في اعلاها كشك فيهِ غرفة كبيرة للاستقبال وغرفة للمائدة واخرى للمنامة . وكان ادهم بك ينزلهُ احياناً حينما تأتي عائلة نصرالله باشا لقضاء فصل الصيف هنا وقد وضع فيهِ اثاثاً فاخراً لم يجرِ فيهِ على الاسلوب التركي الحديث المعروف بالاسلوب الافرنكي وهو صمد المقاعد والكراسي الى جدران الغرف ووضع مائدة مذهبة في الوسط بل عاد الى الاسلوب التركي القديم ونوَّعهُ قليلاً حتى يوافق الذوق الاوربي المهذَّب فوضع فيهِ الارائك الوثيرة والستائر اللطيفة الالوان والكراسي المختلفة الاشكال وزرع حولهُ الازهار والرياحين والاشجار الغبياء

فصعدنا في التلَّة وامامنا عبدان معهما المصابيح الى ان بلغنا اعلاها وهناك خيمة كبيرة فدخلتها هانم افندي وجلست فيها واخذ جودت مصباحًا بيدهِ وصعد الى اعلى البرج ليطير البومة . فلما طارت اطلق نافذ بك بندقيتهُ عليها فاخطأها ولم يطلق عليها طلقًا اخر بل قال دعوها تذهب اذ ليس الغرض قتلها بل منعها من ان تعشش هنا ولن تعود الى هذا المكان ثانية . والآن ماذا تريدون ان نفعل يا اولاد فقال لهُ محسن خذنا الى البستان فقال لهُ احسنت ولكن لا احد يتجاسر ان يذهب معك في هذا الظلام فقالت ولية هانم انا اذهب وتذهب معنا امينة ايضًا ألا تذهبين يا حبيبة فالتفت نافذ بك اليَّ وقال ألا تخافين من العفاريت والغيلان والافاعي فان كنتِ لا تخافين فتعالي معنا

فسرتُ معهم وكان البستان على الجانب التالي من التلة وهو مملوءٌ باشجار الفاكهة والظاهر انهُ كان قبل ذلك حديقة غناء لان في وسطهِ صخرًا كبيرًا مجوَّفًا كمغارة وفيهِ ينبوع صغير يجري الماء منهُ الى بركة وراءهُ . وبقينا سائرين الى ان بلغنا باب البستان ففتحهُ نافذ بك ودخلنا وسرنا فيهِ ونحن في ظلام دامس لان الاشجار كانت قريبة بعضها من بعض . وسار ولدا ولية هانم بجانبها يجرانها جرًّا وهي تصرخ كلما داست رجلها على عود او غصن . ومشيتُ انا وراءهما ونافذ بك الى جانبي ويدهُ قريبة من يدي ليساعدني اذا عثرت او زلت قدمي او ليبعد اغصان الشجر المعترضة في طريقي

واخيرًا وصلنا الى الصخر واراد جودت ومحسن ان يصعدا عليهِ فمنعهما نافذ بك وقال لهما ان صعدتما وزلَّت بكما اقدامكما وقعتما ودققتما عنقيكما اوغرقتما في البركة على الجانب الآخر ولكن تعاليا الى داخل الصخر فان فيهِ مكانًا تعشش فيهِ الطيور . فقال محسن نعم نعم ومسك المصباح بيدهِ ودخل وجرَّ امهُ وراءهُ وتبعهُ بقية الاولاد وبقي نافذ بك خارجًا ونظر اليَّ وقال اتريدين ان تتبعي الاولاد او تبقي هنا . ونظرتُ فرأيت الظلام دامسًا في جوف الصخر فخفت قليلاً وقلت بل افضّل الذهاب الى البركة على الجانب الآخر . فسرنا كلانا حتى بلغناها وكانت الارض حولها بساطًا من الاعشاب والازهار تظللها شجرة كبيرة ممتدَّة الاغصان وكان السكوت تامًّا لا يسمع الاَّ صوت ولية هانم وهي تصرخ مع الاولاد

فضحك نافذ بك لما سمع صراخها وقال ما اجن اباها حتى زوجها برجل اكبر منها كثيرًا

فقلت لهُ ولماذا فعل ذلك وكيف تزوَّج بها ادهم بك وهو كهل وهي في الرابعة عشرة من عمرها

فقال ان اباها جُعل واليًا على ولاية بعيدة في بر الاناطول حيث يمكن ان يبقى عشرين

سنة ويتعذَّر عليهِ ان يزوجها هناك فلما خطبها ادهم اليهِ لم يرَ وجهاً لردهِ بل سُرَّ بذلك كثيرًا. اما ادهم فلم يخطبها لانهُ عرفها فاعجبتهُ بل لان امهُ اختارتها لهُ

فقلتُ ولمْ يندم على ذلك لان كلاًّ منهما يحب الآخر حبًّا شديدًا

فقال نعم ولكن ادهم لا ينظر اليها كزوجتهِ بل كابنتهِ ويدللها مثل ابنة مدللة وهي تنظر اليهِ بالخوف والرهبة كانهُ شخص يُخشى ولا يُفهَم كما كنت انظر الى كتبي العربية وانا فتى

فقلتُ ولكنك صرتَ تفهم تلك الكتب لما كبرت

فقال أتريدين انها تصير تفهمهُ مع الزمان امَّا انا فلا احب ان اتزوَّج بامرأة اعيش معها احدى عشرة سنة قبلما يزول خوفها مني

فقلت " ولكنك لست مثل ادهم بك " . وآخذتُ نفسي على ما قلت فصمتُّ حالاً

فقال كلاَّ لستُ مثلهُ اتظنين ان زوجتي لا تخاف مني فان كنتِ تعتقدين فيَّ هذا الاعتقاد فلماذا صرتِ تنفرين مني حديثًا قولي لي يا امينة قولي لي الحق هل تحبين داود

فلم اجبهُ . فقام ودنا مني وقال اسمعي يا امينة انتِ تعلمين حبي لكِ واني اريد ان اتزوَّج بك . فان كنتِ تقولين انك تفضلين رجلاً آخر عليَّ فلا حق لي عليكِ بل اتركِكِ وشأنكِ ولكن لا بدَّ لي من ان اسمع ذلك من فيكِ

فقلت لهُ هذا ضرْب من المحال وانتَ تعلم انهُ لا يمكن ان يكتب كتابي عليك

فقال لماذا ذلك أَلانك تحبين آخر . ستأتي وحيدة يوم الخميس والآن الاثنين ولا يمكن ان ادعكِ تمضين معها ما لم اعلم انكِ تفعلين ذلك بارادتكِ ومن تلقاء نفسكِ . لا تظني اني اريد ان اخدعكِ او اني لا اعرف رزانة عقلكِ حتى احسب ان مقامي يغريكِ بما لا ترغبين فيهِ . حسبتُ مرةً انكِ صرتِ تميلين اليَّ فلما رأيتكِ تتكلمين مع داود توهمت انكِ تضحكين عليَّ واخذ مني الغيظ كل مأخذ ولكن زال مني هذا الوهم بعد ذلك . والآن لا اصدق انكِ تخدعينني. وقد اكون خادعًا نفسي وحاسبًا انكِ تحبينني ولستِ كذلك فان كنتِ تحبين ذلك الشاب فقولي لي وانا اتخلَّى عنكِ مهما نالني من ذلك ولكن ان كنتِ لا تحبينهُ كما ارجو الآن فلا شيء يمكن ان يحول دون اقتراني بكِ

فلم اجبهُ بل بقيتُ ساكتة ودنت اصوات الاولاد منا ورأيناهم آتين والمصباح معهم

فقال لي اجيبيني يا امينة قولي لي هل تحبين داود

فقلت لهُ كلاَّ ومع ذلك لا يمكنني ان اقترن بك اتظن انني اقبل باقتران تقاومهُ عائلتك كلها

فلم يجبني بلسانهِ بل امسكني بيديهِ وضمني الى صدرهِ . فاخذت اتوسَّل اليهِ ليتركني

قائلة انك تعلم يقيناً ان اقتراننا ضرب من المحال . فقال كلاَّ . ولكنهُ تركني لان ولية هانم كانت قد اقتربت منا وقال ساكلم امي بذلك الليلة

ووصلت ولية هانم الينا وقالت ما اكسلكما لماذا لم تدخلا معنا الى الغار قد انبسطنا غاية الانبساط

فقال لها نافذ بك هذا الذي يسرنا اما انا فقد كبرت عن تخريب العشاش هلمَّ نرجع اذ لا بدَّ من ان تكون امي قد استطالت غيابنا الآن

فرجعنا ووجدنا الجواري يلعبن تحت الشجر وهانم افندي في الخيمة ومعها عادلة ننر تقص عليها بعض الاخبار ووقف نافذ بك بجانب الباب وذهب الاولاد ليلعبوا مع الجواري واتت وحيدة هانم وجلست معنا وقالت لعادلة عمَّن تتكلمين . فقالت عن ابنة محمود باشا فانها احبت واحدًا من الحرَّاس الشراكسة وكان ابوها يريد تزويجها بابن عمها واشتدَّ الخصام بسبب ذلك . وقد تكاتبت هي والشركسي ووُجدت مكاتيبهُ عندها فطار عقل ابيها وامها ولو كان ابن باشا لكان الامر محتملاً ولكنهُ شركسي دونها بمراحل

فضحك نافذ بك حتى استلقى على ظهرهِ وصرخت وحيدة هانم قائلة وما ضرَّهُ ان كان شركسيًّا فان اناسًا كثيرين اشرف من محمود باشا زوجوا بناتهم للشراكسة . ان تزوجنا رجلاً اوطأ منا رتبةً لا نحط الى مرتبتهِ بل نرفعهُ الى مرتبتنا

فادركت المرأة خطأها واستدركتهُ قائلة اصبتِ يا عيني ولكن ألاَ ترين انها كانت مخطوبة لابن عمها

فقالت هانم افندي نعم وهذا فرق كبير . اما وحيدة هانم فبقيت مغتاظة وقالت ان كانت البنت لا تريدهُ وجب ان يزوجوها بالرجل الذي تريدهُ . اما انا فاظن ان الحرَّاس الشراكسة افضل من اولاد الباشوات بما لا يقدَّر وقد احسنت هذه الفتاة بحبها واحدًا منهم

فقال نافذ بك احسنتِ يا وحيدة ولو كان علي بك هنا لطار بكِ فرحًا

فقالت عادلة ان علي بكَ من افضل الرجال ولم أرَ رجلاً اجمل منهُ طلعةً الله يبقيكِ لهُ ويبقيهِ لكِ

فقال لها نافذ بك خففي عنك يا امَّاهُ فقد سامحتكِ وحيدة لا سيما وان علي بك ليس فيهِ شيءٌ من طباع الشراكسة ولا اظن ان احدًا يقول انهُ شركسي لانهُ من افضل الناس واطيبهم قلبًا

فالتفتت ولية هانم اليَّ وقالت لي اسمعي كيف يطرىء زوجها لا بدَّ من انهُ قاصد ان

يطلب منها خدمة مهمًا والاَّ ما تملقها هذا التملق

فتضاحكتُ لاني كنت اعلم مرادهُ وعزمت ان احاول صرفهُ عن عزمهِ فنهضت وخرجت واشرت اليهِ وانا خارجة فادرك مرادي وتبعني وسرنا الى الكشك ووقفنا امام الشباك فقال لي ماذا تريدين . ولكن اياكِ وان تحاولي صرفي عن عزمي اذ لا بدَّ لي من ان اقترن بكِ ولو قام عليَّ الثقلان

فحرت في امري لكنني قلتُ لهُ انك تعلم كما اعلم انا ان الباشا وهانم افندي وادهم بك وكل اهلك يعارضونك في ذلك وانا نفسي لا استحق ان اكون زوجةً لك لانني ابنة مسكينة فما دمتَ تفتكر بي تكون عرضة للازدراء و يظن كل احد انك فقدتَ عقلك

فتبسم وقال نعم هذا هو الصواب وقد فقدتُ عقلي . مَن كان يتغنَّى بمثل ذلك امس اليس انتِ . ولما رأى اني اريد ان اتكلم قال لي اليكِ عن الكلام فاني احبكِ ولا بدَّ من ان اقترن بكِ ومتى اقترنت بكِ يصمت كل لسان ولا يعود احد يقول شيئًا

قال ذلك وادنى رأسي من كتفهِ ووضعهُ عليهِ فتركتهُ لحظة ثم تصوَّر لي حرَج هذا الموقف فانهضتهُ وقلتُ لهُ كلاَّ كلاَّ هذا ضرب من المحال دعنا من المزاح يا نافذ بك افتكر بنفسك وبامّك هل تجسر ان تغيظها . ولما قلت ذلك عبس فغيَّرتُ لهجتي وقلتُ لهُ انك تحب اباك فهل يمكن ان تفعل شيئًا يخجل منهُ

فنظر اليَّ عابسًا وقال لا تقولي هذه الكلمة مرة أُخرى لماذا يخجل ابي اذا اقترنتُ بكِ الستِ ابنة عفيفة طاهرة

فقلتُ ولكني ابنة حداد فانا دونك بمراحل . فقال كلاَّ لستِ دوني فاني انا وابي لا نعرف ماذا كان اصل جدنا وربما كان كنَّاسًا وهل يمكن ان نخجل من اقتراني بكِ اكثر مما نخجل من اقتراني ببوار وقد كان ابوها لصًّا ان لم يكن قاطع طريق وسفَّاك دماءٍ

فقلت ولكنها شركسية . فقال انعمْ واكرمْ شركسية محتالة أَبهذه تتشبهين فتاة لا ادب لها ولا حشمة ولا عقل لا يهمها من الدنيا الاَّ ان تقترن برجل فتخلص من العبودية واذا بعناها غدًا تحتال على اول رجل تراهُ ليشتريها ويتزوج بها . صدقيني يا امينة اني افضّل الموت على الاقتران بشركسية ولو لم اركِ

فجعلتُ اتوسل اليهِ ليتركني ثم التفتُّ الى باب الغرفة واذا بوار واقفة فيهِ وعيناها تقدحان شررًا . ولمَّا وقعت عيني على عينها ادارت وجهها وخرجت مسرعةً ورأيت حينئذٍ انها اكبر عدو لي وان الانتقام في عينيها . والظاهر ان وجهي امتقع حينئذٍ ورأى نافذ بك ذلك وادار

وجههُ الى الباب وقال لي ماذا جرى ولماذا انتِ مضطربة

فقلتُ لهُ بالله عليك دعني اذهب دعني اذهب فقد عرف كل احد الآن بما دار بيننا بالله عليك قل انك كنت تمزح معي كنتَ تضحك عليَّ

فقال ولماذا اقول ذلك لماذا اقول قولاً يعود باللوم عليكِ ولو مثقال ذرة . كلاَّ بل اقول الحق . الليلة أُخبر امي بما صمَّمتُ عليهِ . أَتظنين انني رجل ضعيف العزم لا شهامة لي ولا مروَّة حتى اخاف من اقل مقاومة واتركك وحدكِ

فقلت ان نصرالله باشا يستاء من ذلك حتماً . ولقد احزنتهُ كثيرًا هذه السنة فكيف تستطيع ان تغيظهُ ايضاً . انتَ تعلم انهُ لا يسلّم بذلك وانك لا تستطيع ان تفعل شيئًا على غير مرضاتهِ . ولهُ السلطة المطلقة عليك وهو من احسن الآباء وافضلهم واشرفهم فكيف تستطيع ان تعصاهُ فان امركَ بان تعدل عن عزمك أَفلا تضطر ان تطيعهُ

فقال كلاَّ . نعم يجب عليَّ ان اطيعهُ واكرمهُ ولا احد يقول انني خالفت لهُ امرًا حتى الآن ولكنهُ اذا ابى ان يسلم باقتراني بكِ لم يجب علي ان اطيعهُ لان سلطتهُ عليَّ لا تصل الى هذا الحد ولا تمنع القاضي من كتابة عقد الزيجة

فقلتُ لهُ ولكن أَلا تتألَّم حينما تشعر انك أَلَّمتهُ الى هذا الحد

فاطرق الى الارض وقال نعم ولا اظن ان ذلك يكون سهلاً عليَّ لان للعادة حكماً شديدًا وقد اعتدت ان اطيعهُ من غير سؤال فلا يسهل عليَّ ان اخالف لهُ امرًا ولكن لا بدَّ من ذلك يا عزيزتي ولا شيء يفصلنا بعد الآن لا اب ولا ام ولا اخ ولا اخت

فقلت ولكن ان كنتُ انا ارفض ذلك فهل تجرُّني الى امام القاضي غصباً عني

فعبس ونظر اليَّ نظر الاستفسار ثم تبسم وقال نعم ان لم تذكري لي سبباً مقنعاً غير هذا السبب . قولي انكِ تحبين آخر فاتركك ولكنكِ لا تحبين احدًا كفى كفى . نعم اذا رفضتِ فانا اجركِ الى امام القاضي غصباً عنكِ

وقد سمعتُ كلماتهِ الاخيرة ولو لم اكن مصغيةً اليهِ لانني كنت اسمع وقع الخطى في الرواق وقبل ان استطيع تخليص يديَّ من يديهِ وقفت هانم افندي في الباب وقفت كالصنم لا حراك بها قامة طويلة وعينان برَّاقتان ووجه ممتقع فرأَيت ان قد حانت الساعة التي كنت اخشاها ووقفتُ وقفة العاصية امام المرأَة التي اقسمتُ ان لا اعصي لها امرًا

وتقدَّم نافذ بك مسرعاً ووقف امامي كأَنهُ يريد ان يحجبني من نظرامهِ ومن نار الغضب المتقدة في عينيها . وقال لها احسنتِ يا اماهُ بمجيئكِ الآن لان لي كلاماً اريد ان اقولهُ لكِ .

لكنها لم تصغِ الى كلامهِ بل دخلت من الباب ودخلت وراءها وحيدة هانم وتبعها الجواري كلهنَّ . ورأيت دلائل الانفة والكبر على وجه وحيدة هانم والخوف والشفقة على وجه ولية هانم وتوقُّع المكروه على وجوه الجواري وكان قلبي يخفق ومفاصلي ترتجف خوفًا ومن يلومني على ذلك . من لم يعش في الحريم لا يعلم ما لربَّة المنزل من السلطة المطلقة كل الذين فيهِ يخافونها ويتقون غضبها لان في يدها الحياة والموت . وكنت قد تعلمت ان انظر الى هانم افندي كصاحبة السلطة المطلقة التي لا تنازع في امرها فلما رأيتها تقترب مني والشر في وجهها ارتخت مفاصلي وخارت قواي

ووقف نافذ بك بيني وبينها وقال لها اليكِ عنها يا اماهُ ووجهي كلامكِ اليَّ

فصرخت ابعدْ من وجهي ولا تقل شيئًا لاني لا اصغي الى احد حتى اقاصها كما تستحق . ثم التفتت اليَّ وقالت "من انتِ حتى تتجاسري ان ترقي ابني وتسحريهِ فقد اخبرتني بوار بكل ما جرى". وارادت ان تقبض عليَّ بيدها فمنعها نافذبك وقال لها ان مسستِ هذه البنت بيدك فوحق رأس ابي لا تعودي تري وجهي

فشمخت بانفها وقالت أَإلى هذا الحد أصرتَ تأمر وتنهى ولكنك احمق ولا تعلم انها سحرتك وطمرت العوذة التي اتت بها من الساحر تحت باب غرفتك . واراك تضحك كانك لا تصدق ذلك وانا نفسي لم اصدقهُ حتى رأيت العوذة بعيني واذا راجعت حسابك رأيت انكَ مرضت بعد ما وضعتْ لك العوذة بيوم واحد فخِذ من طريقي ولا بدَّ من ان انتقم منها

فقال لها كلاَّ لا يمكنك ان تفعلي ذلك لانني مصمم على الاقتران بها

فهزأَت بهِ وقالت اتقترن بها اجننتَ . ثم نظرت اليَّ وقالت هذه هي بغيتك ولكن لا بدَّ من قتلكِ أتظنين اني اسلم بان يقترن اسم ابني باسم ابنة حداد

فقال لها نافذ بك اليكِ عن هذا الكلام يا امَّاهُ فاني ساقترن بها كيفما كان الحال

فوقفتْ صامتة واتكأَت على كرسي كان هناك

ونادتْ نافذ بك لاكلمهُ وحالما لفظت اسمهُ صرخت بي قائلةً ايَّاكِ ان تقولي لهُ شيئًا امامي ولا يخطر ببالكِ انكِ تنجين من يدي وستعلمين قريبًا انهُ كان خيرًا لكِ ان تموتي قبل ان تقيسي نفسكِ بي

فقال لها نافذ بك هذا تفعلينهُ مع جواريكِ لانهنَّ لكِ واما هذه الفتاة فان مسستِ شعرةً من رأسها فوحق تربة اجدادي

وقبل ان يتم كلامهُ رأيت ان الخرق كاد يتسع على الراقع فاسرعت الى هانم افندي

وانطرحت على قدميها وقلت لها لا تسمعي لهُ يا مولاتي لانهُ لا يدري ما يقول وسيرى غداً ان ما يقصدهُ ضرب من المحال

فاصغت اليَّ اولاً ثم انحنت وامسكت شعري ولفت ضفائرهُ على يدها ولا ادري ماذا كانت عازمة ان تفعل بي ولكن نافذ بك اسرع اليها حالاً وامسك يدها بيديهِ القوتين وحلَّ شعري عنها وابعدني وقال لي اجننتِ ألا ترين انها تقتلكِ اذا دنوتِ منها

وتقدَّمت وحيدة هانم حينئذٍ وقالت لهُ ألا تخجل يا نافذ ان تمد يدك الى امك اجننت حتى تفعل ذلك اتظن ان ابي يسمح لك ان تتزوَّج هذه البنت فتلحق العار بنا كلنا

فقال لها العار كل العار ان لا اتزوَّج بها بعد ان جرى ما جرى

ولما كان يتكلم التفتُّ الى الباب فرأيت نصر الله باشا وادهم بك وتقدَّم نصر الله باشا وهو عابس الوجه والتفتت اليهِ هانم افندي وقالت لهُ انظر فان امينة سحرت ابنك وهو يريد الآن ان يتزوَّج بها وقد اعتدى عليَّ بسببها وكاد يكسر يدي لانني اردت قصاصها فهل تقبل بذلك

فالتفتُّ الى نافذ بك فرأيت وجههُ اصفر كوجوه الاموات وقد اطبق فاهُ وضغط على اسنانهِ كانهُ علم ان قد وقعت الواقعة ولا بدَّ من النضال

فقال نصر الله باشا لا يصلح هذا الوقت للبحث في هذه المسألة ثم التفت الى نافذ بك وقال لهُ ان كنت لم تجنَّ تماماً فاطلب السماح من امك واتبعني ولا بدَّ من النظر في هذه المسألة الليلة

فتقدَّم نافذ بك واخذ يد امهِ وقبلها وقال لها ان كنتُ قد اسأتُ الادب فسامحيني ولكن هذا لا يغير نسبتي الى امينة فلا بدَّ من اقتراني بها ودار ليخرج من الباب وقبلما خرج التفت الى ادهم بك واشار اليَّ ففهم ادهم بك مرادهُ واشار اليَّ وقال بصوت جهوري تعالي يا امينة اتبعيني لآخذكِ الى غرفتك

والتفتت اليهِ هانم افندي ولكنها لم تجسر على الكلام معهُ لانها كانت تعلم انهُ اقوى منها ومدَّ ادهم بك يدهُ وامسك بيدي فسرت معهُ وسار نصر الله باشا ونافذ بك امامنا وكنت اقول في نفسي ترى هل هو مغتاظ مني كما اغتاظت امهُ واختهُ وهل صدَّق ما قالتهُ بوار ولعلهُ لم يمنع امهُ عن قتلي الاَّ لانهُ شفق عليَّ وكره ان يرى القوي يفتك بالضعيف . وتصوَّرتُ هيئة امهِ وهي قابضة على شعري فارتجفت مفاصلي كلها وكنا قد بلغنا السلاملك واخذنا نرتقي السلم الموصل الى باب الحريم

فقال اراكِ لا تستطيعين الصعود ولا غرابة في ذلك بعد ان جرى ما جرى قال ذلك ورفعني بين يديهِ كانني طفلة . فاستغربت هذه الشفقة وهذا الحنو منهُ ونظرت الى وجههِ في

نور المصابيح المعلقة في الرواق فرأيتهُ شاحباً كوجوه الاموات . وكانت الدموع تجول في عينيَّ تحاول الهطول والغيظ يمنعها فلما رأيت حنوَّهُ هطلت سخية فلم يكلمني بل فتح باب غرفتي وقال لي جرْبي لتستريحي فانك محتاجة الى الراحة ولا تخافي من شيءٍ الليلة ولكن ان احتجتِ اليَّ فناديني فابادر اليكِ حالاً

واردتُ ان اشكرهُ ولكنهُ اغلق الباب قبل ان اقول كلمة ومضى . ولما سمعت وقع خطاهُ على السلم وضعت المفتاح في القفل من الداخل واقفلتهُ مرتين واستلقيت على سريري وانا افكر في ما آل اليهِ امري (ستأتي البقية)

آلات الطيران

قلَّ من لم يرَ البالون من قراء المقتطف يملأُ غازاً خفيفاً وتُعلق بهِ سلة كبيرة يجلس فيها رجل او رجلان او اكثر فيصعد في الهواء ويجري فيهِ حسبما تسوقهُ الرياح الى ان يتعب راكبوهُ فيخرجوا بعض الغاز منهُ او الى ان يخرج منهُ الغاز من نفسهِ فيثقل ويهبط رويداً رويداً حتى يبلغ الارض اينما اتفق اراد راكبوهُ ذلك او لم يريدوا على سهل او جبل او نهر او بحيرة او شجرة او يقع في البحر الخضم

وقد تنوَّعت اشكال البالون كثيراً من حين استنباطهِ الى الآن فكان كروياً ثم كمثريّاً ثم مغزليّاً ثم مستطيلاً مستدقّاً من احد رأسيهِ او من الرأسين معاً

واحدث هذه البالونات واكبرها وانجحها بالون الكونت فون زبلن وقد وصفناهُ في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف وهو كبير جداً طولهُ ٤١٦ قدماً وقطرهُ ٣٨ قدماً يعلق بهِ قارب كبير يركبهُ الناس فهو سفينة هوائية تجري في الهواء كما تجري السفن في الماء . وقد بلغت سرعتهُ في الهواء الساكن ٤٨٠ متراً في الدقيقة او نحو ٣٠ كيلو متراً في الساعة لكن هذا الحجم الكبير وما يقتضيهِ من النفقات الكثيرة على قلة الجدوى منهُ او على قلة الربح التجاري يمنعان شيوعهُ شيوعاً تجاريّاً لاسيما وان الرياح تغير سرعتهُ وقد توقف حركتهُ فلا يمكن الاعتماد عليهِ دائماً ولا يغني عن غيرهِ من وسائل النقل

ومن البالونات التي جرّبت مراراً وثبت انها تدار في الهواء حسبما يشاءُ من يصعد فيها بالون دنيلوسكي الروسي فان لهُ جناحين كبيرين يدار بهما كيفما شاء المدير

ومن هذا القبيل بالون المسيو ديمون طولهُ ٦٥ قدماً وقطرهُ ٢٥ قدماً وهو مستدق من

طرفيهِ ولهُ دفة وسطح مائل يداران بآلة بخارية صغيرة فيديران البالون كيفما شاء المدير وقد طار بهِ صانعهُ ودار حول برج ايفل

وصنع فردرك هريت بالونًا مستطيلاً كالسيكار الافرنجي لهُ على جانبيهِ اذرع كاذرع مطحنة الهواء تدار بآلة بخارية فيسير بها الى الامام او الى الوراء

ولما كان الكونت زبلن يصنع بالونهُ صنع المستر ميرس بالونًا صغيرًا اوصل بهِ لولبًا كلولب السفن البخارية ودفةً واجنحة واطلق عليهِ اسم الطيارة الغازية وطار بهِ اكثر من مئة مرَّة في ولايات اميركا . وعندهُ ان الناس يستطيعون ان يطيروا بهذه الطيارة ويقطعوا الابعاد الشاسعة من غير ان يتعرَّضوا لشيءٍ من المخاطر . وهذا اقصى ما وصل اليهِ البالون حتى الآن

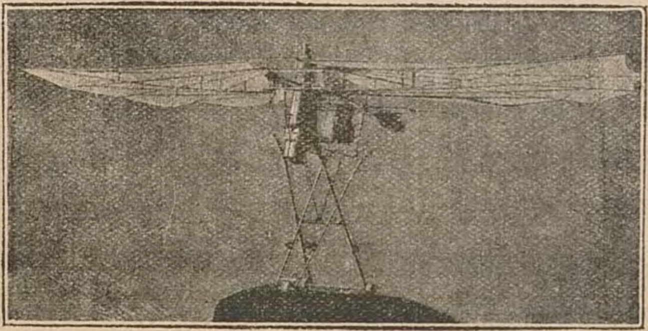

شكل (١)

الاَّ ان الذين يحاولون ركوب الهواء والسير فيهِ كما يسيرون في الماء لم يقتصروا على عمل البالون اي على عمل جسم اخف من الهواء يعوم بهم فيهِ بخفتهِ بل حاولوا الجري في الهواء بقوة دفعهِ ورد الفعل الحادث من ذلك اي انهم حاولوا التمثل بالطيور في ركوب الهواء كما حاول اصحاب البالون التمثل بالسمك وهو يعوم في الماء

ومحاولة الطيران بالآلات ذوات الاجنحة اقدم من محاولتهِ بالبالون وآخر من نجح فيهِ وكان نجاحهُ قاضيًا عليهِ للينثل الالماني وقد وصفنا آلتهُ وصورناها وصورناهُ طائرًا بها في الجزء الاخير من المجلد الثامن عشر من المقتطف . وفي التاسع من اغسطس سنة ١٨٩٦ مضى الى القرية التي كان يمارس الطيران فوق كثبانها وكانت الريح تهبُّ بسرعة ستة امتار في الثانية فلبس الاجنحة ذات الطبقتين وطار مسافة قصيرة ونزل سالمًا ثم طار ثانيةً ونزل حتى كاد يبلغ اسفل التل الذي طار عنهُ واذا بريح عصفت شديدًا ورفعتهُ ثلاثين مترًا وذلك امرٌ عاديٌّ

حدث لهُ مرارًا ولكنهُ وقف هذه المرَّة عادم الحركة فسقط على امّ رأسهِ فاقد الشعور وفاضت روحهُ تلك الليلة وهو في السابعة والاربعين من عمرهِ

لكن طالبي الشهرة باقتحام الاخطار لم يثبط عزائمهم ما حلَّ بلِلينثل ولا اقتصروا على حل مسألة الطيران من وجه فكاهي اجابةً لرغبة في النفس بل اهتمَّ بعضهم بحلها من باب علمي مثل الاستاذ لنغلي الاميركي الذي حاول صنع آلة تتحرك حركات الطائر وتطير مثلهُ ولو لم تشبههُ شكلاً واستتبَّ لهُ ذلك . وآخر من صنع آلة من هذا القبيل رجل اسمهُ هفمان تمتاز آلتهُ على كل ما تقدمها بان لها اربع ارجل ذات بكر تنتصب عليها كالحيوان وتجري على عجلها جريًا كما ترى في الشكل الاول المرسوم في الصفحة السابقة حتى اذا حانت الفرصة المناسبة للطيران رفع من في الآلة هذه الارجل فوقف معلقًا بين الارض والسماء كما ترى في الشكل الثاني ويحاول

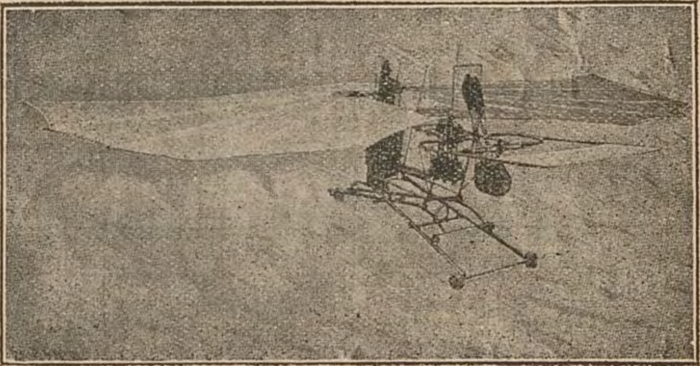

شكل (٢)

حينئذٍ الهبوط بآلتهِ الى الارض لكن الهواء يقاوم نزول الآلة فيهِ لاتساع جناحيها . وتكفي مقاومة الهواء لحمل الآلة ودفعها الى الاعلى وهي تتحرَّك لتسير الى الامام فتسير كما يسير الطائر والطيَّارة . وفيها دفة ولولب لتعديل حركاتها واتجاهها

والمرجح ان هذه الآلة اصلح للطيران من آلة للينثل وسنرى ما يكون من امرها ولكن هب انها وفت بالغرض تمامًا وصار كل احد يستطيع ان يركب آلة مثلها ويطير في الهواء يبقى استعمالها خاصًّا ببعض المخاطرين بانفسهم او الذين لا يتوخون من ركوبها الاَّ الفكاهة والنزهة . ولا تتم الفائدة الاَّ اذا وُجدت آلة تجمع بين البالون والاجنحة حتى تحمل الحمل الثقيل وتسير بهِ اينما شاء راكبها وقد تبقى مع ذلك معرضة للمخاطر من عصف الرياح

القلب الكسير

لواشنطون ارفن الكاتب الاميركي

من الناس من اذا جاز سنَّ الصبوة سنّ الاحلام والآمال وانغمس في ملذّات الحياة وافراحها ولهوها بردت عواطفهُ وشابت فيهزأُ باحاديث الحب واخبار المحبين و يعدُّها من روايات المؤلفين وغلوّ الشعراء وتخرصات الكتاب لكنني رجل قضيت العمر في درس اخلاق البشر فما ازددت الاَّ اعتقادًا بخطإ من يرى هذا الرأي فقد تنبئك الظواهر بخمود العواطف وتطمر هموم الحياة نار الصدور في رماد المشقات ويتبرقع الوجه بحجاب من التصنع في الكلام والاشارات والابتسام بحسبما تفرضهُ رسوم التمدن الحاضر لكنّ النار لا تزال مخبوءَة في الفؤاد حتى اذا ما اتقدت جذوتها تأَججت فاندلع لهيبها وحرق ما حولها . فانا مؤمن بالهِ الحب الاعمى مسلم بتعاليمهِ اعترف بوجود القلوب الكسيرة واعتقد بالموت الناتج عن الحب العقيم

واقول ان مرض الحبّ في الرجال يندر ان يكون وخيم العاقبة على انهُ كثير الشيوع في النساء كبير المضارّ وكم من فتاة حسناء اودى بها فاودعها البلى في نضارة العمر وزهرة الصبا

خلِق الرجل نزوعًا الى العلا وحب الرفعة طماعًا في المجد والغنى والشهرة فهو مدفوع ابدَ الدهر باخلاقهِ وطبيعتهِ الى التمرُّس بالآفات ومصارعة الدهر وعراك الايام فما الحبُّ لهُ سوى زينة يتخذها لشبابهِ او صوت يتغنى بهِ بين فصول رواية الحياة التي يمثلها لان الشهرة مطلبهُ والغنى لذتهُ ولان غايتهُ رفعة المقام والتسلُّط على بني جنسهِ بما يحرزهُ من القوة والثروة

اما المرأة فحياتها سلسلة من الحبّ وعالمها قلبها فاذا طلبت الرفعة والسيادة ففيهِ واذا تولتها المطامع فالى كنوزهِ فالحبّ تتجر نفسها وفي بحرهِ يمخر قلبها فاذا انكسرت السفينة ذبلت آمالها وانمحت حياتها وانكسر فؤَادها وما ادراك ما انكسار القلوب

وقد رأَيت اله الحب يجور على الرجل فيذيقهُ صنوف العذاب والشقاء ويجرحهُ جروحًا بليغة قد يطول زمان الاستشفاء منها وتعدمهُ الهناء ردحًا من الزمان لكنهُ خلق قوي شديد فيتغلب على هواجسهِ وقلقهِ بما ينخرط فيهِ من اعمال الحياة او بجهادهِ في تيَّارها او بما يكرعهُ من ضروب الملذات والمسرَّات حتى اذا ما استحال عليهِ البقاءُ في ارضٍ اصابتهُ فيها السهام ارتحل عنها راكبًا جناحَي النعامة الى حيث يلقى لنفسهِ الراحة والعزاء

اما حظ المرأة من ذلك فغير حظهِ ونصيبها غير نصيبهِ فحياتها حياة وحدة وعزلة وتأَمل سميرها افكارها وانيسها عواطفها فاذا صارت هذه العواطف وتلك الافكار رسل الحزن

والغصة اليها فاين المهرب من الشقاء والى اين المفرّ الى العزاء . فقد خلقت لتكون موضوع الحبّ والاعتناء فاذا شقيت في الحبّ كان قلبها كالحصن هاجمهُ الاعداءُ فاحتلوهُ وخرّبوهُ ونهبوهُ وتركوهُ قاعاً صفصفاً

وكم من عينين براقتين اظلمتا حزناً وغمًّا وخدين ذبلت ورودهما كدرًا وجزعًا وكم من قامةٍ تزري بالغصن الاملد وراها الثرى لسرّ مدفون في قلب كسير. فالمرأة تكنّ ما في فؤادها من كلوم الحب كما تفعل الحمامة اصاب سهم الرامي منها مقتلاً فضمت جناحيها الى جانبيها وغطت بهما جرحها فهي مطبوعة على الحياء ميالة الى السكينة والهدوّ فاذا لقيت سعادة في الحبّ فلا تجسر على التفوّه بها لنفسها واذا اصابت شقاءً فيهِ اضمرت ما بها ودفنتهُ في اعماق صدرها بين اطلال رغد العيش وبقايا هنائهِ ودعتهِ وعادت فاذا الكون قد اسودّت سماؤُهُ واظلم نهارهُ فلا هي ترى في الحياة حبورًا ولا في العيش نعيمًا فتبتعد عن جميع ما يشرح الصدر ويخفق لهُ القلب من الالعاب والرياضات والاحاديث والاجتماعات والافراح والمسرات وتكحل عيناها بالسهاد وتهجرها الراحة وتلازمها الاحلام المزعجة ويمتصّ الحزن دمها فتبيت خيالاً تروّحهُ الرياح وتعبث بهِ الامراض حتى اذا ما انقضى برهة من الدهر اذا بالاهل والاصدقاء ملتئمون حول ضريحها يعجبون لذلك الغصن كيف ذوى قبل الاوان ولتلك الطلعة البهية كيف يواريها التراب وتأكلها الديدان ويحدثونك عن زكام اصابها فقضى عليها او توعُّك المّ بها فاودى بحياتها لكنهم جهلوا الآفة التي انحلتها وامتصت الحياة من عروقها فغادرتها عرضةً للادواء وفريسة للاسقام

انظر اليها كانها دوحة قد زانت الغاب بجمالها واعتدالها وزهوتها اينعت غصونها واخضرّت اوراقها وانبسط ظلُّها وانما لا يغرّنك ما ترى من جمال وحسن منظر فان في اصلها دودة تنخرها فلا تلبث ان تذوي وانت تخالها باسقة فتطرق اغصانها اطراق الضعيف وتنتثر اوراقها حتي اذا ما اشتدّ بها الضعف سقطت في سكينة الغاب بين جاراتها فاذا تأملها متأمل او نظر اليها ناظر لم يفطن الى الصاعقة التي انقضّت عليها فاتلفتها

وقد شاهدت بنفسي كثيراتٍ من الفتيات علق بهنّ النحول وغلب عليهنّ الذهول ففارقنَ الحياة كانفاس تصعدها الى السماء وكنت ازعم فيمن زعم ان موتهنّ نجم عن ثقل وطأة الامراض الفتاكة كالسلّ وامراض الصدر والضعف فلا البث حتى اجد السبب الاوّل وارى خلال تلك الادواء اعراض الشقاء في الحبّ

واليك خبر واقعة حدثت في ارلاندا واشتهر امرها بين سكان تلك البلاد

لما اتقدت نيران الثورة في ارلاندا كان في من قبضت عليهم الحكومة فتًى من خيرة شبانها فحاكمتهُ متهماً بخيانة وطنهِ وصدر حكم المحكمة عليهِ بالاعدام فأُعظم بين اسف القوم وحزنهم وكان لاعدامهِ وقع شديد في نفوس مواطنيهِ ورنة في جميع اطراف البلاد لأَنهُ كان في عنفوان الشباب وزهوة العمر كريم الاخلاق ذكي الفؤاد باسلاً استجمع ما يستحب في الفتيان من الصفات الكريمة والمناقب المحمودة وابدى اثناء محاكمتهِ شمماً وعزة نفسٍ يندر ان يرى مثلهما حتى اذا ما اتهموهُ بخيانة بلادهِ اتقدت فيهِ الحمية وانفجرت ينابيع الشهامة وعزة النفس فدافع دفاعًا حشوهُ البلاغة وعنوانهُ الشرف والترفع عن الدنايا لكن ذلك لم يدفع المقدور ولما دنت الساعة ولم يبقَ في القوس منزع حرَّك قلوب القوم واثار نخوتهم بخطبة عزم فيها على الخلَف من بني بلادهِ ان يعيدوا النظر في قضيتهِ بعد موتهِ لتبرئتهِ مما عُزِي اليهِ من التهم وهو منها براءٌ وبلغ من اسف الناس لمصابهِ ورثائهم لبلواهُ ان اعداءهُ الالداء انتقدوا خطة السياسة التي افضت الى اعدامهِ

وانما كان بين القلوب الخافقة والنفوس الولهانة فؤاد خيَّم الحزن عليهِ قلب فتاة بارعة في الجمال جامعة لطيب الخلال احبها الفتى واحبتهُ قبل ان تعصف بهِ انواء السياسة فصادف منها فؤادًا طاهرًا خليًّا فتحت لهُ مخادعهُ واشتدت بينهما ربط الحب والولاء حتى اذا ما جاهر المجاهرون بعداء حبيبها وكثر اعداؤُهُ وحسادهُ واصبح الخطر والموت يتهددانهِ زادت ثباتًا في حبهِ وولاءً لعهدهِ كأَن مصائبهُ ضاعفت قوة عواطفها ولا غروَ فان ما المَّ بهِ حرَّك شفقة الاعداء فأَخلقْ بمن وهبتهُ قلبها ان تزداد لهُ ولاءً وفي عهود حبها امانةً وثباتًا وأَخلقْ بمن انطبعت صورتهُ في فؤادها وشاركت نفسهُ نفسها ان يسحقها الحزن عليهِ والخوف على حياتهِ بما احدق بها من المخاطر حتى انتهى امرها بالموت مفرق الاحباب

سل الذين رأَوا ابواب القبر تفتح ثم تقفل على اعزّ من احبوهُ وسل الذين وقفوا امام الضريح منفردين عن الخلق كأَنهم في عالم مظلم موحش فارقوا فيهِ احبَّ الناس اليهم واجملهم في عيونهم — سلْ هؤُلاء ينبئُوك بانكسار القلوب واما انباك مثل خبير

وكانت مصيبة الفتاة مزدوجة فانها خسرت حبيبها وقضى محكومًا عليهِ بما يلبس اسمهُ ثوب العار فلم يكن لها من الذكرى ما يبرّد لوعتها ويخفف الم فراقهِ عليها وجفت عيناها فلا ترسلان الدموع تلك الدموع المباركة المرسلة كالندى من السماء لانعاش القلوب ايام الكرب وساعات الفراق فراق الاحباب

وزاد شقاءها سخط ابيها عليها لحديث حبها فطردها من بيتهِ مهانة عقابًا لها واعلانًا لفرط

احتقارهِ لحبيبها لكنها لم تعدم الاصدقاء والمحبين الذين انتصبوا لحمايتها والاخذ بناصرها فانها لم تكد تخرج من بيت ابيها حتى فتح لها كبراء القوم واعيانهم بيوتهم وقبلوها على الرحب والسعة والارلنديون مشهورون بمكارم الاخلاق وسرعة التأثر وحب الضيافة. ولو كان الحنوّ واللطف والمحبة وطيب المعاملة تزيل غصص الفؤاد لزال ما بها بما افرغوا عليها من الرعاية والاكرام وباجتهادهم في تخفيف كربها وتبريد لوعتها فكانوا يذهبون بها الى محافل اللهو ومجامع الانس لعلّها تجد في اللهو والاحاديث والمعاشرة ما ينسيها حزنها او ما يفطمها عن تذكر واقعة حبها ومصاب من تهواهُ لكنّ مساعيهم حبطت وخابت آمالهم فانَّ من المصائب ما يحلُّ بالمرء فيحرق النفس حرقاً ويشويها شيًّا ويدخل الى روض السعادة والهناء فيزيل ما فيهِ فلا يعود يطرح زهرًا ولا يحمل ثمرًا

وكانت الفتاة لا تستنكف من مرافقة اصدقائها الى حيث يريدون ولا تعترضهم فيما يدبرون لها لكنها كانت في المجامع والمحافل كمن هو في اعماق الوحشة والوحدة فكانت تسير فيها ذاهلة عمّا حولها تلوح عليها امارات الشقاء كانها تسخر بما يطيف بها من الملذات واسباب اللهو والفرح وكأن فواعل السرور كانت تندفع اليها فاذا بلغتها وقفت لا تجسر على التقدم احتراماً لما بها من الحزن المفرط والاسى الشديد

ورآها محدثي في سهرة راقصة تنكَّر فيها الراقصون فكان الطباق كاشدّ ما يمكن ان يكون عليهِ اذ كانت تسير بين اسباب الفرح والحبور وقد سكر القوم بخمرة الجذل والنشاط كأنها خيال حزين تردَّى ثياب البهجة ليخدع القلب الكليم وينسيهُ ولو ساعةً مصائبهُ واحزانهُ. وبعد ان تمشت زمناً يسيرًا في مقاصير القصر الفاخرة بين جماهير الراقصين والراقصات كأنها مستهواة جلست على سلَّم الاوركسترا وحدَّقت بباصرتيها في الفضاء كمن لا يشعر بما حولهُ ثم اندفعت تغني بما انفجر في قلبها من الحزن اغنية شجية بصوت رخيم وتلحين بديع بسيط ترجم عما كانت فيهِ من الشقاء فتألب القوم حولها مدهوشين ولم تبقَ عين الاَّ دمعت او قلبٌ الاَّ انصدع رثاءً لبلواها وحزناً لمصابها

وكان ممن عرفها ضابط باسل فهذا احبها شديدًا واعلن لها شغفهُ بها وقال في نفسهِ ان فتاةً تخلص الولاء للموتى الى هذا الحدّ لجوهرة لمن يتزوجها فعرض عليها ان تقترن بهِ فرفضت طلبهُ لان نفسها كانت ممزوجة بذكرى حبيبها فالحّ عليها وزاد في اكرامها وكان من خيرة الفتيان خلقاً وخلقاً ورأت هي ما كانت عليهِ من الفاقة وانها طريدة من بيت ابيها عيال على اصدقائها فقبلتهُ زوجاً بعد ان افهمتهُ انهُ انما يملك قياد يدها واما قلبها فلاَ خر فقبل منها هذا الشرط واقترنا

وحملها الى صقلية آملاً ان تبديل الهواء والمكان ينسيانها ذكرى، ما صادفتهُ من العناء والشقاء فيغيض ينبوع حزنها على حبيبها الاول فالفى منها زوجة فاضلة وامرأة كريمة ولكن كان السوس قد نخر اصل الشجرة فلم تستطع رد السعادة التي غادرتها . وقصر الدواء عن بلوغ غاية الداء ونفذت في المرض حيل الاطباء فنخر الحزن قلبها وهدَّت ذكرى حبيبها ركنها وذابت كما تذوب الشمعة حتى انطفأت فواروها الثرى قتيلة القلب الكسير

ونظم فيها الشاعر مور الارلندي ابياتاً في هذا المعن

نزل الموت بها مبعدةً   عن حبيبٍ بات في ارض الشقاء
حولها الاصحاب يبكون التي   لم تذق في عيشها طعم الهناء
فادارت وجهها عنهم وقد   هاجها تذكارها عهد الولاء
وبكت والعين قرحى حبَّ من   قلبها في قبرهِ يبغي الثواء

رنَّمت اغنيَّةً يا طالما   رددتها عند روضٍ او غديرْ
وحبيب القلب يصغي طرباً   قبل ان حلَّ بهِ الخطب الكبيرْ
اطرب السامع ما غنتهُ إذْ   خالها قد جازت الامر العسيرْ
اترى السامع يدري انهُ   نغمٌ ردَّدهُ القلبُ الكسيرْ

عاش كي يسعد من يهوى وما   تَ بحبّ الوطن الغالي الثمينْ
لم يكنْ يبغي سوى هذين في ال   عمر حتى صار في الترب دفينْ
فستجزيهِ بلادٌ مات في   حبها الدمعَ على مرّ السنينْ
والتي تهواهُ ان تلحقْ بهِ   فعلى عهد الولا يبقى الامين

قبرها فابنوهُ في الروض النضيرْ   حيث نور الشمس يكسوهُ البهاءْ
تطلع الشمس عليهِ فتنيرْ   ارضهُ ايام يعتلُّ الهواء
كسلامٍ جاء كالمسك الذفيرْ   من بلاد الغرب من ارض الشقاء
وادفنوا في قبرها القلب الكسيرْ   علَّهُ يلقى بهِ بعض العزاء

خليل ثابت

سجون المغرب الاقصى

يزور القطر المصري كل شتاء كثيرون من اشراف الانكليز وفي جملتهم ارل ميث وزوجتهُ كونتس ميث . والاثنان من كرام الانام الذين يتذرَّعون بمقامهم وثروتهم لنفع الناس . والظاهر انهما يزوران بلاد مراكش او المغرب الاقصى كما يزوران هذا القطر فقد كتبت كونتس ميث مقالةً في الجزء الاخير من مجلَّة القرن التاسع عشر الانكليزية وصفت فيها فظائع السجون في تلك البلاد وصفاً تقشعرُّ منهُ الابدان لا بقصد الوقيعة ولا لمجرَّد العلم باحوال الناس في تلك البلاد بل انهاضاً لهمم الكرام في سائر البلدان حتى يؤَلفوا لجنة من كل الامم الاوربية تسعى لدى سلطان مراكش ليصلح سجون بلاده ويمنع الجور عن اهلها . وقد تنجح في تأليف هذه اللجنة وقد لا تنجح وقد تفلح اللجنة في ما تسعى اليهِ وقد لا تفلح ولكن في القطر المصري وبين قرَّاء المقتطف اناساً كثيرين يحسبون كل بلاد اسلامية وطناً لهم ويدَّعون الغيرة الوطنية عليها . وعندنا انهم اذا الَّفوا لجنة تسعى لدى سلطان مراكش في رفع الحيف عن اخوانهم كان سعيها مشكوراً وفعلها مأجوراً وتدفع عن تلك البلاد غائلة "التداخل" الاجنبي الذي اذا القى عصاهُ فيها قبل ان تنهض من سباتها ذهب باستقلال اهاليها من سلطانهم الى آخر سوقتهم . واذ قد تمهَّد ذلك نترجم جانباً مما اوردتهُ كونتس ميث في مقالتها قالت :

ان كلمة "المسجون" في بلاد مراكش لا يراد بها المجرم لان المسجون قد يكون بريئاً من كل جرم مسالماً للناس اجمع والمجرم قد يكون القاضي الذي حكم عليهِ بالسجن . وليس في مراكش قانون للجنايات فيحكم القضاة حسب اهوائهم يحكمون على الواحد مثلاً بالسجن لان لهُ مالاً يراد ابتزازهُ منهُ واذا ارتكب جناية واراد ان يخلص من عواقبها فما عليهِ الاَّ ان يتخلى عن بعض ما يمتلكهُ فتقلَّ جريمتهُ او يبرَّأ ويؤخذ بها غيرهُ حتى اذا قيد الى السجن بقي فيهِ الى ما شاء الدينار او حُسب من المنسيين فيترك فيهِ الى ان ينجيهُ الموت منهُ

وقد يذنب رجل فيسجن واحد من اقاربهِ بدلاً منهُ ابوهُ او امهُ او اخوهُ او عمهُ وقد يُنقَل السجين في هذا البلد الى سجن آخر وبلد بعيد يقوم فيهِ مقام سجين آخر اشترى براءتهُ من القاضي بالمال

اخبرني احد الثقات وقد تفقد كثيراً من السجون انهُ شاهد مرةً عشرين سجيناً في حالة يرثى لها من المرض وسأَل عن جرائمهم واسباب سجنهم فلم يجد مَن ينبئهُ عن ذلك وقال لهُ والي البلد ان والياً آخر ارسلهم اليهِ ليسجنوا ولم يشِر الى جرائمهم

ولو سُجِن الابرياءُ والمجرمون او لو أُخذ الابرياءُ بجريرة المجرمين وعومل الكل بالرأفة او نجوا من العذاب لهان الحال ولكن الامر على ضد ذلك ولولا الامل ان كشف المساوئ يدعو الى ازالتها لسبلتُ ستراً على ما رأيتُ وتركت هذه الفظائع محجوبة الى ما شاء الله فان لها اسوةً بغيرها مما يحتمله نوع الانسان من العذاب الهون في تلك البلاد من الجلد بالسياط حتى الموت وسمْل العيون بالحديد المحمى وسلخ الجلد من الايدي ورش الملح عليها وربطها بسيور من جلد البقر الطريء وتركها حتى تتقلص وتقطع اللحم فيفسد وتنقطع الايدي

وكم يموت جوعاً ومرضاً من الذين يقضى عليهم بالسجن . سجن الحكومة الكبير في رباط مكشوف لا سقف لهُ يقي السجناء من شمس الصيف ومطر الشتاء . وسجون داخلية البلاد اسوأُ منهُ حالاً لانها كهوف تحت الارض وكثيرون من السجناء يودون لو كانت لهم قبوراً . والاقامة في مراكش الآن تجعل المرء يحسب الموت ملاكاً سماوياً يُبعث لانقاذ الناس من الشقاء والعذاب

وتتوقف شدَّة الجور والعسف على الولاة فالوالي الظالم الغاشم لا تأخذهُ شفقة ولا يردعهُ عن الحيف حنان . ذهب قائد غازياً وامر برجل ان يجلد ثم لما عاد عن غزوتهِ وجد الرجل في قيد الحياة فاغتاظ وامر بجلدهِ ثانية ومضى الى الجامع يصلي فمات الرجل تحت الجلد . ورأى رجلاً آخر ذنبهُ الوحيد مصادقتهُ للاجانب فامر بهِ ان يوضع في بئر قائماً ويقيَّد هكذا الى ان يموت . وكان أبو هذا القائد حاكماً ظالماً مثلهُ فاضطرَّ شعبهُ ان يصبوا عليهِ زيتاً ويحرقوهُ حياً لكي ينجو من ظلمهِ

اذا عصت قبيلة وابت ان تؤدي الجزية سارت الجنود لاخضاعها وقبضت على من يقع في يدها من رجالها وعادت بهم اسرى مثقلين بالاغلال وقد يموت ثلثهم او نصفهم في اثناء الطريق لشدة ما يقاسون من العذاب الهون . واذا كان القائد قد اخبر بعدد اسراه حزَّ رؤوس الموتى منهم وملَّحها وعاد بها حتى لا يقال ان افلت احد منهم واذا اضاع رأساً منها فقد يحزُّ رأس واحد من الجند بدلاً منهُ

ثم ذكرت ان وكلاء الدول في طنجة رفعوا مذكرة الى سلطان مراكش وصفوا لهُ فيها حالة السجون ووجوب اصلاحها فنظر الى طلبهم وامر فاصلح بعضها حيث يسهل ان يرى الاجانب ما فعل . وان كثيرين من فضلاء الانكليز رجالاً ونساء اهتموا بمسألة السجون في مراكش اهتماماً شديداً وهم يبعثون النشرات الى الولاة يطلبون منهم الرفق بالعباد . ولا شبهة عندنا في ان اغراضهم حميدة لا يشوبها شيءٌ من المصالح الذاتية ولكنها قد تصير اساساً "للتداخل"

الاجنبي وما يترتب عليهِ . هب ان كونتس ميث او سواها من النساء الشريفات ذوات المقام في البلاد الانكليزية أُهينت او اعتدى عليها سجّان او جنديٌّ او والٍ جهلاً منهُ او كرهاً وهب ان ذلك تكرَّر مراراً فما ينجي مراكش من الاساطيل الانكليزية وعلى مَ لا يصلح الناس فسادهم اذا اتخذهُ غيرهم سبيلاً عليهم

وزارت كونتس ميث سجن طنجة وقالت انهُ اصلح من غيرهِ من السجون لانهُ بمرأًى من الاجانب ورأَت هناك رجلاً جُلد الف جلدة لانهُ سبَّ الوالي. ثم رأَت امرأَة اتتها تبكي وعلمت من امرها ان ابنها ورجلاً آخر اختصما فوُضعا في السجن وطلبت منها صدقة ترشي السجان بها ليطلق سبيل ابنها فأُعطيت ريالاً ففتح الريال اقفال الحديد واطلق الابن ورفيقهُ . قالت الكونتس ولو اقتصر اطلاق الناس على مثل ذلك ولو كانت السجون خالية من الفظائع لهان الامر وسهل الخطب

ثم اشارت بانشاء اللجنة التي اشرنا اليها سابقاً حاسبة ان حكومة مراكش تصغي الى طلبها لانها تحسبها معضودة من دولها وارتأَت ان تختار هذه اللجنة رجالاً مشهوداً لهم بالهمَّة والمروءة والعفة والدربة يطوفون في بلاد مراكش ويزورون سجونها ويوجهون انظار الولاة الى ما فيها من المساوىء الفاحشة ويتوسطون في الافراج عن الابرياء . ثم وعدت بان تدفع هي راتب واحد من هؤُلاء الرجال . وهذا هو النصح الحميد النصح بالقلم والمال . فهل في هذا القطر مَن يفعل فعل هذه الاميرة الجليلة او مَن يلبي نداءها فيسعى في تخليص مراكش من عيب فاضح ومن بلية قد تقود الى بلايا

وسلطان مراكش الآن مولاي عبد العزيز بن السلطان حسن ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٧٨ وخلف اباهُ في ٧ يونيو سنة ١٨٩٤ وحكمهُ مطلق ولهُ ستة وزراء يستشيرهم في شؤُون بلادهِ اذا اراد والاَّ فلا شأْن لهم الاَّ تنفيذ اوامرهِ

وقد اختلف المقدرون في عدد السكان فقال بعضهم انهم لا يزيدون على مليوني نفس وابلغهم البعض الآخر الى تسعة ملايين واربعمئة الف نفس . في ولاية فاس منهم ثلاثة ملايين ومئتا الف وفي ولاية مراكش ثلاثة ملايين وتسع مئة الف والباقون في بقية الولايات واكثر السكان من البربر . عاصمة البلاد مدينة فاس سكانها مئة واربعون الف نفس

والبلاد جبليَّة طيبة الهواء يصدر منها الصوف واللوز والفول والصمغ والشمع وجلود الماعز ويقال انها من اجود البلدان تربة واصلحها لزرع الحنطة ولو حسنت ادارتها ونشرت فيها وسائل العمران لكانت من اغنى ممالك الارض وامنعها

باب الهدايا والتقاريظ

قاموس الجغرافية القديمة

انتقاد

كل دولة سادت في الاعصر السالفة وشادت معالم الحضارة والعمران تركت من الآثار ما يدل على ما بلغتهُ من السطوة وعلو الشأن مثل المباني على اختلاف انواعها والاغراض التي أُعدَّت لها والآثار العلمية والصناعية وغيرها . ومن اهم تلك الآثار اللغة فما من امةٍ رفعت اعلام سلطتها على قطر من الاقطار الاَّ وسارت فيهِ لغتها تبعاً لسنة الارتقاء وتغلُّب الاقوى . يدلنا على ذلك ما نراهُ في تاريخ الممالك القديمة من الاسماء التي تغيَّرت بتغير الدول . هذه مصر لمَّا استولى عليها اليونان قسموها الى اقسام جديدة وابدلوا اسماء المدن الشهيرة باسماءٍ يونانية . ولا يزال اغلب الاسماء القديمة مستعملاً لهذا العهد ولكن لتداولها وانتقالها من أُمةٍ الى اخرى تطرق اليها من شوائب التحريف والزيادة والنقصان ما غيَّر صيغها الاصلية بعض التغيير مثل ابو صير(١) فان اسمها المصري (بو اوسير) ومعناهُ دار اوزيريس وسماها اليونان بوسيرس . واطفيح اصلها (تپاح) فجعلها الاقباط طبيح ثم أُبدلت الباءُ فاءً فصارت طفيح او اطفيح حسب الرسم ثم سماها اليونان افروديتوپوليس اي مدينة افروديت لانها كانت مخصصة لعبادة هاتور (الشعرى اليمانية) وهي ربة الجمال عند المصريين وتسمى افروديت عند اليونان . واسيوط اسمها المصري (ساووت) وسماها اليونان ليكوبوليس ومعناها مدينة الذئاب لانهُ كان يُعبد فيها انوبيس وكانوا يصورونهُ برأس ذئب وغير ذلك مما لا نطيل الكلام فيهِ

وهكذا كان الامر في سورية واسيا الصغرى وبلاد الفرس وارمينية وغيرها من اقطار اسيا واكثر اقسام اوروبا فان كل دولة استولت عليها وضعت للبلاد اسماءً جديدة او منحوتة من الاسماء القديمة او استعملت الاسماء القديمة نفسها ولكنها تحرفت بالتداول واختلاف اللغات كما ان العرب لما استولوا على الاندلس وغيرها من بلاد اوروبا ابدلوا بعض الاسماء القديمة باسماء عربية وبعضها حرفوهُ فاصبح بالاصطلاح من قبيل الاعلام العربية

ولا يخفى ما في معرفة هذه الاعلام والوقوف على مآخذها واشتقاقها ومعانيها وما وضعت لهُ من البقاع من الفوائد العلمية والاهمية التاريخية فهي التي اهتدى بها علماءُ اللغات والآثار

---

(١) علم على عدة قرى بمصر والمقصودة هنا ابو صير الجيزة التي كانت قسماً من مدينة منفيس

في حل الكثير من مشكلات العلم وتحقيق ما ورد في اخبار الاولين وفي الكتب الدينية من الحوادث التاريخية وتعيين مواقعها الجغرافية

ولولا دلالة الاسماء القديمة على مواقع البلاد التي دُرست معالمها لما تيسر معرفة ما كان فيها من الآثار في سالف الايام وما حوتهُ من الدفائن النفيسة والكنوز الثمينة وما اختصت بهِ من المعابد التي كانت تقام فيها الشعائر الدينية اجلالاً لبعض المعبودات فما تلك الاعلام الأ خزائن اودع فيها من اسرار العلوم وكنوزها ما لا ينكشف الأ بحل رموزها

هذا فضلاً عما تدل عليهِ بعض الاسماء من الصفات الطبيعية التي تمتاز بها البقاع التي سمّيت بها ومن هذا القبيل اكثر اسماء بلاد العرب مثل نجد (١) والاحقاف (٢) والحجاز (٣) والعروض (٤) واليمن (٥) كما ان كثيرًا من الجبال سميت باسماء تدل معانيها على البياض لكثرة ما يعلوها من الثلج مثل جبال الالب (٦) ومون بلان (٧) ولبنان (٨) واق طاغ (٩) وهويت مونتز (١٠) ولهذا عُني الاوربيون بوضع القواميس والموسوعات الجغرافية والتاريخية لمعرفة الاسماء القديمة ومآخذها وما تدل عليهِ من البقاع وما يقابلها من الاسماء الحديثة مثل قاموس سميث الجغرافي في اللغة الانكليزية وقاموس بوليه الجغرافي التاريخي في اللغة الفرنساوية وغيرها

وكانت اللغة العربية الى الآن في حاجة الى قاموس من هذا القبيل يُرجع اليهِ عند الحاجة الى معرفة الاعلام القديمة وما يرادفها من الاسماء ويهتدي بهِ المترجمون في ضبط الاعلام العربية التي حرَّفها الافرنج فانهم كثيرًا ما يخبطون في نقلها خبط عشواء فيكتبونها تارةً كما يكتبها الافرنج بلغاتهم محرفة ممسوخة وتارة بصورة لم ترد في كتب العرب ولا في كتب الافرنج. ولا تقتصر فائدة القاموس على الذين يعرفون اللغة العربية دون غيرها من اللغات بل يحتاج اليهِ كل من كان عالمًا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية لان جميع القواميس الافرنجية التي من هذا القبيل غير وافية بالمراد في بيان حقيقة الاعلام العربية التي لا يتيسر الوقوف عليها الاَّ باستيعاب ما كتبهُ العرب في وصف الاقاليم والبلدان واخبار الامم

وخلاصة القول ان هذا القاموس لا يستغنى عنهُ عالم او اديب بل هو من الضروريات في اللغة العربية وقد قام بتحقيق هذه الامنية حضرة الفاضل احمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار فوضع قاموسهُ الجغرافي الذي طبع منذ عهد قريب وقد قال في مقدمتهِ "واذا نال هذا الكتاب

---

(١) لانها مرتفعة (٢) معناها الرمال العظيمة المستطيلة (٣) لانها حاجز بين نجد وتهامة (٤) لاعتراضها بين اليمن ونجد (٥) لانها واقعة على يمين الكعبة (٦) معناها ابيض باللغة اللاتينية (٧) اي الجبل الابيض باللغة الفرنساوية (٨) لفظة عبرانية تدل على البياض (٩) اي الجبل الابيض باللغة التركية وهو اسم جبل في ولاية ارضروم (١٠) اي الجبال البيضاء باللغة الانكليزية وهو علم على جبال في اميركا الشمالية

الصغير من الاقبال ما هو خليق بهِ تشدَّدت عزيمتي لابراز المعجم الكبير الوافي الذي جمعتهُ في هذا الموضوع المفيد" فلهُ من ابناء اللغة العربية مزيد الشكر والثناء على هذا العمل الخطير

ولما كنتُ ميالاً للبحث في الاعلام القديمة اقبلت على تصفح هذا المعجم الصغير اقبال الصادي على المورد العذب فعنَّ لي وانا التقط من فرائدهِ بعضُ ملاحظات جديرة بالامعان رأيتُ من الواجب اتماماً للفائدة ان استميح حضرة المؤلف الفاضل في ابدائها لعلها تقع عندهُ موقع الاصابة والاستحسان فيتفضل باستدراكها في القاموس الكبير الذي اشار اليهِ في المقدمة

(١) جَعل عنوان كتابهِ "قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي" فهذه التسمية وان كانت تنطبق على بعض ما ورد فيهِ من الاعلام القديمة المكتوبة بحسب اصطلاح اللغة الفرنساوية مثل Mésopotamie, Olympe, Babylone الاَّ انهُ لا يحسن اطلاقها بوجه التعميم لان جميع ما حواهُ هذا القاموس انما هو اعلام قديمة اصلها مصري او فينيقي او يوناني مكتوبة فقط بالحروف اللاتينية التي هي حروف كل اللغات الاوربية كما انهُ حوى كثيراً من الاعلام الفارسية والتركية فكان الاولى على ما ارى الاكتفاء بتسميتهِ "قاموس الجغرافية القديمة"

(٢) في الكلام على جزيرة انس الوجود (صحيفة ١٦) ذكر اسمها المصري القديم والاسم اليوناني المنقول عنهُ واسمها الوارد في بعض كتب العرب ولم يذكر الاسمين اللذين اشتهرت بهما وهما جزيرة البربا وجزيرة هيف

(٣) عند ذكر اهناس المدينة(١) (صحيفة ١٧) وهي بَلَد بصعيد مصر قال ان اسمها عند اليونان هيراكليوبوليس(٢) على ان صحة هذا الاسم هيراكليوبوليس مانيا (الكبرى)(٣) تميزاً لها عن هيراكليوبوليس بارڤا (الصغرى)(٤) وهي مدينة أُخرى على بُعد ٢٥ كيلو متراً من صان (تانيس القديمة) وتسمى الآن تل الشيرج .

وكثيراً ما يسمي اليونان مدينتين باسم واحد متى كان معبودهما واحداً ولكنهم يميزون احداهما عن الاخرى بكلمتي مانيا اي الكبرى وبارڤا اي الصغرى مثل ابولونو بوليس مانيا (وهي ادفو الآن بمديرية اصوان) وابولونو بوليس بارڤا (وهي قوص بمديرية قنا) وهرمو بوليس

---

(١) اهناس تحريف (هاخننسو) وهو اسمها المصري القديم ووردت في التوراة باسم حانيس (اشعيا ٣٠ : ٤)

(٢) ماسبرو وقاموس بوليه وغيرهما ومعنى هيراكليو بوليس مدينة هرقل وهو اله القوة عند اليونان واسمهُ ملكارث عند الفنيقيين

(٣) خطط مصر للمرحوم علي مبارك باشا جزء ١٧ وجه ٣٦

(٤) معنى ابولونو بوليس مدينة ابولون وهو اله الشمس والفنون والآداب عند اليونان ويسمى (حور) اي العلي عند المصريين

مانيا(١) (وتسمي الاشمونين الآن بمديرية اسيوط) وهرمو بوليس بارفا (وهي دمنهور الآن بمديرية البحيرة)

(٤) عند ذكر البقاع او بقاع العزيز (صحيفة ٢٤) وهو الوادي الفاصل بين لبنان الشرقي ولبنان الغربي لم يذكر اسمهُ المشهور وهو سهل البقاع

(٥) من اسماء بلاد بين الهندين الجزيرة الفُراتية ولم يذكر هذا الاسم في الكلام على هذه الجزيرة (صحيفة ٣٤)

(٦) عند الكلام على العاصي (صحيفة ٥٧) وهو النهر المشهور في بر الشام لم يذكر اسمهُ اليوناني وهو اكسيرس(٢)

(٧) قال في تعريف قبط او قفط (صحيفة ٦٣) "مدينة بصعيد مصر اسمها البرباني كوبش واليوناني كپتوس Coptos وعنها اسم الطائفة القبطية ومنها اشتق الافرنج لفظة Egypte للدلة . على القطر المصري" على ان كلمة قبط الدالة على الامة القبطية ليست مأخوذة عن اسم مدينة قفط كما ذهب اليهِ حضرة المؤلف بل اصلها ايجيپتوس (بحذف المقطع الاول للتخفيف) وهو الاسم الذي اطلقهُ اليونان للدلالة على القطر المصري وهو منحوت من هاكو بتاح Ha-Ku-Ptah ومعناهُ دار عبادة بتاح وهو الاسم المقدس الذي كانت تسمي بهِ قديمًا مدينة منفيس(٣) هذا ما اجمع عليهِ علماء الآثار المصرية مثل بروكش وماسبرو في تاريخهِ الكبير عن قدماء امم المشرق المطبوع في باريس سنة ١٨٧٨ صحيفة ٢٤ وصحيفة ٥٥ وحققهُ اخيرًا البروفسور سايس وهو من اشهر علماء الآثار الانكليز بعد قراءة الالواح الاثرية التي وُجدت في تل العمارنة . امَّا ما ذهب اليهِ البعض من قبل في اشتقاق هاتين الكلمتين من المذاهب والآراء فلا يعوَّل عليهِ الآن

(٨) عند الكلام على بلاد الكلدان (صحيفة ٦٩) لم يذكر اسمها المشهور في كتب الجغرافية وهو العراق العربي وهو الاسم الذي يدل على هذه البلاد بما فيها المملكة البابلية

(٩) عند ذكر مدينة مبج او منبج (صحيفة ٧٦) قال انها مدينة في تركية اوروبا والحقيقة انها في تركية اسيا واسمها القديم Bambyce وعنهُ الاسم العربي وتسمي ايضًا هيرابوليس(٤)

---

(١) معنى هرمو بوليس مدينة هرمس وهو اله الحكمة والعلوم عند اليونان و يسمى (تحوت) عند المصريين

(٢) ذهب فولني الى ان هذا الاسم ماخوذ عن الاسم العربي

(٣) تسمى ايضاً باللغة المصرية (من نوفر) ومعناهُ المكان العظيم وعنهُ اخذ اليونان اسم منفيس (العقد الثمين لاحمد بك كمال)

(٤) اي المدينة المقدسة

(١٠) لما اورد اسم هليوبوليس في حرف الهاء صحيفة (٨٢) قال" انظر المطرية وعين شمس" على ان هليوبوليس عَلَم على مدينة أُخرى، في بر الشام وهي بعلبك الشهيرة بآثارها العجيبة واعظم تلك الآثار هيكل الشمس ولذلك سماها اليونان بهذا الاسم ومعناه مدينة الشمس فمن الضروري اذن التنبيه الى ذلك لئلا يتوهم القارئ ان هليوبوليس عَلَم على المدينة المصرية دون غيرها

هذا ما رأيتهُ بعد مراجعة ما لديَّ من الكتب الافرنجية والعربية التي يعوَّل عليها في هذا الموضوع وارجو من حضرة المؤلف الفاضل المعذرة لاقدامي على مجاراتهِ في هذه الابحاث المهمة فما دعاني الى ذلك غير الرغبة في الوصول الى الحقيقة التي هي الضالة المنشودة والغاية المقصودة

حبيب غزاله
القاهرة بمصلحة الصحة العمومية

التساهل الديني

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين :

بينما انا اطالع المقتطف الاغر عثرت في باب المراسلات منهُ على كتاب من حضرة الفاضل الارشمندريت خريسطفورس جباره يرفع بهِ عليكم احتجاجاً خفيًّا لاستحسانكم آرائي في التساهل الديني ويحاول معارضتي في المبدإ الذي ما زال مصباحاً منيرًا لارباب العلم والفلسفة يستضيئون بهِ في التفتيش الغير منقطع على ضالتهم المنشودة اي الحقيقة فهو يريد ان يقول وكلامهُ السلبي في هذا المعنى واضح بان التساهل الديني بعيد التناول سيء العاقبة فيهِ من الكفر والضرر ما لا يرضي الله والناس وان التوفيق بين الاديان يأتي بعكس هذه النتائج اي انهُ سهل التناول حسن العاقبة الخ . ولا يخفى على من اعار المسأَلة قليلاً من التأمل ان دعوة الارشمندريت المحترم لا تتم قبل ان يشمل روح التساهل اصحاب الاديان المختلفة . فالتوفيق بين الاديان التوحيدية لا يكون الاَّ نتيجة التساهل الديني الذي ندعو اليهِ الآن . والمسأَلة واضحة لا تقتضي كثير جدال . فلنأخذ قضية الوهية المسيح مثلاً وان كانت لاهوتية اكثر مما هي عقلية فكيف يمكن لنا ان نوفق بين ائمة الاسلام واكليروس النصارى فيما يختص بها من الخلاف اذا ما تساهلنا في التفسير وتسامحنا في بعض الشروحات واغمضنا الطرف عن بعض الاقاويل التي تعرقل مساعي طالبي التوفيق وتحول دون بغيتهم . فالائمة يقرون لنا بنبوة السيد ولهم علينا من هذا القبيل حق الشكر على الاقل اما نحن فلا نشكر ولا نسكت بل نطلب

منهم اكثر من ذلك . نحن نريد منهم ان يعترفوا لنا بالوهيتهِ وان يقروا بكونهِ ابن الله وهم لا يفعلون ذلك فما العمل اذن ؟ أَيستطيعون ان يوفقوا دون ان يتساهلوا أَليس من الواجب على كل منهم ان يتنازل عن بعض حقوقهِ ويلاقي خصمهُ الى منتصف الطريق ؟ ايتم بينهم اتفاق اذا ظلوا متمسكين بعقائدهم كلها ؟ ان التساهل يعقد بينهم معاهدة الصلح اذ لا يستتب السلام قبل ان يتنازل كلا الطرفين عن بعض حقوقهم . وانا لا اطلب ذلك اذ اراهُ ضرباً من المحال غير اننا ننادي بالتساهل لانهُ يؤدي بنا الى شيءٍ من هذا التوفيق .

اما الاب المحترم فيظن التوفيق بين الاديان امرًا سهلاً ويبني ظنهُ على علمهِ الراسخ بالكتب المنزلة وعلى تفسيرهِ الخصوصي لبعض الآيات الالهية مستنجدًا تصوراتهِ الشخصية تحقيق ظنهِ ولا نجد بين خدمة الدين مسلمين كانوا او يهودًا او نصارى الاَّ القليل من الذين يدققون النظر في الكتب المنزلة ويحكّمون البصر والعقل في تفسير آياتها فكيف يمكن والحالة هذه ان ينتشر مبدأهُ ويقبل الناس على دعوتهِ التي يظنها قريبة التناول سهلة المأخذ ؟

اما الدعوة الى التساهل الديني الذي بينت فوائدهُ اكثر من مرة فهي ليست مبنية على تصورات او آراء شخصية يشتم منها روح بدعة بينها وبين الحقيقة العملية عداوة كبيرة بل على شواهد تاريخية وادلة عقلية وبراهين فلسفية . والتساهل الديني منتشر الآن في كل البلدان المتمدنة وليس العمل بهِ ضربًا من المحال فكما عم انتشارهُ بين الاوربيين وظهرت لهم نتائجهُ الحسنة لا ارى تعميمهُ بين الامم الشرقية امرًا مستحيلاً وليس فيهِ من الضرر ما يتوهمهُ الناس فهو الجاذب الوحيد الذي يجمع بين العناصر المتفرقة ويؤلفها

وبعد هذا وذاك أَلا يجب على محبي السلام ان يوفقوا بين الشيع المسيحية المتعددة قبل ان يحاولوا التوفيق بين الاديان التوحيدية الثلاثة ؟ اقول هذا لنفسي ولحضرة الاب المحترم ولاصحاب المقتطف الافاضل فقط اذ انني اعجب واحزن لا بل اخجل اذ ارى المسيحيين وهم منشقون بعضهم على بعض يبشرون بالمحبة ويدعون الناس الى السلام والاتفاق . فلنتحد الفروع اولاً ثم فلنطلب اعادتها الى الاصل الواحد المشتقة منهُ

وحبذا لو ان الاب المحترم اغفل الاشارة الى الكفر الذي يريد ان يرمي بهِ اصحاب التساهل اذ انهُ بعد فحص ضميرهِ يجد باننا واياهُ في حالة واحدة فالكنيسة لا تفرق البتة بين طالب التوفيق ومحب التساهل فهما في عرفها شخص واحد او بالحري فرعا شجرة واحدة . واذا لمّح مرة اخرى الى الكفر والضلال فليتذكر بانهُ زعيم مبدإٍ لا تقر لهُ بصحتهِ كنيستهُ وليذكر ايضاً بان الكفر لفظة نسبية فما يُعَدُّ كفرًا في دائرة الفاتيكان مثلاً لا يُعد كفرًا في بلاط وستمنستر في لندرا

وغاية ما اريد اظهارهُ في هذه الرسالة هو ان التساهل يمهد السبيل الى الاتفاق فيجب على محبي السلام وطالبي التوفيق ان يساعدوا اولاً في بث روح التساهل بين الناس فيأتيهم بعدئذٍ التوفيق عفواً دون جهاد وبغير عناء . والذي يطلب التوفيق من غير باب التساهل يصح بهِ المثل الانكليزي القائل " قد كدن الجواد الى مؤخر المركبة " او بعبارة اوضح هو كمن يريد ان يهضم قبل ان يأكل

امين فارس ريحاني

من نيويورك في ٢٠ ايار سنة ١٩٠١

حاضر المصريين او سرّ تأخرهم

اتشرف باخباركم انني وفقت الى تأليف كتاب اجتماعي يبحث عن حاضر المصريين . وهو في ثلاثة اقسام قسم يبحث عن الاغنياء وآخر عن الوسط وثالث عن الفقراء

فالقسم الاول يتضمن كلاماً مسهباً عن . الاغنياء والعصبية . زواج الاغنياء . المحبة بين الزوجين الغنيين . العشرة بينهما . تربية اطفال الاغنياء . تعليم اولاد الاغنياء . تعليم بنات الاغنياء . اولاد الاغنياء واللغة العربية . دين اولاد الاغنياء . المحبة الاخوية . عوائد اولاد الاغنياء المستحدثة . اوهامهم . كرم الاغنياء الماضي وبخلهم الحاضر . الاباء الاغنياء في نظر الابناء . الاغنياء والموت . سلوك الابناء بعد موت الاباء . مقاضاة اولاد الاغنياء . بيوت الاغنياء الخربة أخيراً وعددها . المجالس الحسبية واولاد الاغنياء . (من هذا الفصل يعلم عدد اولاد الاغنياء المحجور عليهم في المحافظات والمديريات)

والثاني وهو في حالة الوسط من الامة . يبحث عن . وسط الامة . الجامع الازهر . الازهريون . (وفي هذا الباب تاريخ الجامع الازهر منذ انشائهِ الى الآن وعدد الطلبة والمدرسين الذين فيهِ وميزانيتهُ اخذناها من مولانا العلامة الفاضل الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية) . العلماء . الوعظ والوعاظ . القرآن والفقهاء . المحاكم الشرعية وحاضرها . المدارس الابتدائية . المدارس التجهيزية . المدارس العالية . مدارس تعليم البنات (ويدخل في هذا احصاءٌ لعدد بنات المسلمين اللواتي في المدارس حالاً . وعدد بنات الاقباط ومنهُ يظهر الفرق جليًّا بين الطائفتين) . الجمعيات . الاستخدام والمستخدمين . التجارة . الزراعة . الصناعة . المطابع والطباعة . (وفي هذا الفصل احصاءٌ لعدد الكتب والرسائل التي طبعت في مدة الخمس سوات الماضية) . الكتب والمؤلفين . كتاب " سر تقدم الانكليز السكسونيين " كتابي " تحرير المرأة والمرأة الجديدة " . السياسة . الجرائد السياسية . الاسلامية . (وفي هذا

تاريخ لانشاء الجرائد في مصر وحقيقة حالتها الحاضرة ودرجة تأْثيرها واحصاءٌ للجرائد السياسية التي ماتت في الخمس سنوات الماضية) . المجلات العلمية (وفي هذا الفصل ايضاً احصاءٌ للمجلات التي ظهرت ثم احتجبت ولم تظهر ثانية واسباب ذلك) الجرائد الدينية . خلاصة القول عن الجرائد . (وعدد ما عند كل طائفة من الطوائف المؤلفة منها الامة المصرية) . الوطن والوطنية . الوطنية في عرف الشرقيين وعلة شقائهم . فساد الاعتقاد بارتباط الدين بالوطنية . الحاصل الآن في مصر . حقيقة مصلحة المصريين . الاسراف او ميزانية الهدم في الامة (ويعلم من هذا عدد القهاوي ومحلات اللهو والخلاعة في مصر) . الغناء والحماسة . شبابنا وحاجاتهم

والثالث وهو في حالة الفقراء . يعلم منهُ من هم الفقراء على اختلاف طبقاتهم وعوائدهم في اعراسهم ومآتمهم واحاديثهم واوهامهم وخرافاتهم وآدابهم ودينهم وتعصبهم وصنائعهم وحرفهم وجبنهم واحتياجاتهم واحصاءات عنهم لا توجد في كتاب آخر ولم يفتكر فيها احدٌ . ثم فصل ختامي عن الاوقاف الاسلامية المصرية وحقيقة حاضرها وقلة نفعها ولو كانت محبوسة للنفع والفائدة

والخلاصة ان مَن يطالع هذا الكتاب يقف على كل عوامل الانحطاط التي في الامة المصرية وتبين لهُ حقائق كثيرة حميدة ومرذولة ولاسيما في المسلمين منهم . وحجم الكتاب يزيد عن خمس مئة صفحة بقطع مجلة المقتطف هذا ما نحيط بهِ علمكم الشريف محمد عمر

[المقتطف] اطّلعنا على فصول من هذا الكتاب فوجدنا المؤلف لم يدَّخر وسعاً في البحث والتنقيب حتى جمع فيهِ من الحقائق والفوائد والنوادر والاحصاءات ما يتعذَّر على غيرهِ جمعهُ او الوقوف عليهِ فهو خزانة اخبار وفوائد تلذُّ مطالعتها وتفيد . وقد عرضهُ للاشتراك وجعل قيمة الاشتراك فيهِ ١٥ غرشاً صاغاً و بعد طبعهِ ٢٠ غرشاً وترسل قيمة الاشتراك اليهِ في مخزن البوسطة بمصر حوالات او طوابع بوسطة مصرية

باب الزراعة

زراعة القطن في مصر

اطلعنا على مقالة مفيدة في مجلَّة الجمعية الزراعية للمسيو بنا كي وصف فيها تنوعات القطن التي تزرع الآن في القطر المصري والتي كانت تزرع فيهِ قبلاً ونسبة بعضها الى بعض من حيث

جودتها واسعارها فقال ان التنوعات التي تزرع الآن في القطر المصري اربعة وهي الميت عفيف والعباسي والينوفتش والاشموني . الثلاثة الاولى منها تزرع في الوجه البحري والرابع يزرع في الوجه القبلي

والعفيفي (او الميت عفيف) اقدم التنوعات الثلاثة التي تزرع الآن في الوجه البحري ويفضلهُ الغزالون على غيرهِ للونهِ وخواص شعرهِ وهو ينضج باكرًا و يصفي اكثر من غيرهِ عند الحلج وجمعهُ سهل وسوقهُ رائجة واسعارهُ منتظمة . والعباسي يتلو العفيفي ومحصولهُ مثل محصول العفيفي او اكثر منهُ ولكن سوقهُ محدودة واسعارهُ غير منتظمة كاسعار العفيفي . وقد ارتفع سعرهُ هذا العام كثيرًا لقلة زراعتهِ ولاسباب اخرى تجارية وقتية لكن سعرهُ لا يهبط عن سعر ما يساويهِ نوعًا من العفيفي وهذا يطلق على الجمعة الاولى منهُ اما الجمعة الثانية والثالثة فدون الاولى كثيرًا ولاسيما اذا مزج بغيرهِ لان شعرة جمعتيهِ الثانية والثالثة غير متينة وهذا يحط قيمتهُ في عيون الغزّالين . والينوفتش حديث وجد منذ ثلاث سنوات او اربع وشعرتهُ دقيقة متينة حريرية و يصفي اقل من التنوعين الآخرين ثمانية في المئة الى عشرة وهو والنوع الجيد من العباسي يضارعان اجود تنوعات القطن الاميركي المعروفة بفَيْن فلوريدا وسي ايلند العادي . والغالب ان محصولهُ اقل من محصول العفيفي والعباسي وقد يكون مثل محصولهما . والجمعة الثانية والثالثة منهُ احسن من الجمعة الثانية والثالثة من العفيفي والعباسي

اما الاشموني فيزرع الآن في الوجه القبلي . وقد اشار المسيو بناكي بان يشرع في ابدالهِ بالعفيفي تدريجًا حتى اذا اتسعت زراعة القطن في الوجه القبلي بعد اتمام الخزان يكون القطن العفيفي قد تأصَّل فيهِ فانهُ اذا مضى عليهِ سنتان في الوجه القبلي وأُحسنت خدمتهُ زاد ما يصفيهِ في السنة الثانية خمسة الى سبعة في المئة فزاد ثمن القنطار عشرين الى ثلاثين غرشًا. وهناك تنوعات اخرى كالباميا والحمولي والابيض والقليني والحريري ولكنها كلها زالت من الوجه البحري لان ليس فيها من المزايا ما يفضلها على غيرها ومحصولها غير كثير

والمزية التي يمتاز بها القطن المصري ويتوقف عليها غلاء ثمنهِ هي ان شعرتهُ طويلة دقيقة متينة فاذا اريد انتقاء التقاوي وجب ان ينظر الى هذه المزايا في القطن الذي تختار التقاوي منهُ

واشار المسيو بناكي بعد ذلك الى فائدة السماد وقال ان السباخ البلدي وحدهُ لا يفيد القطن اي انهُ لا يصلح نوعهُ ولكنهُ اذا مزج بسماد كيماوي او اذا مزج بالبودرت المصنوع في القاهرة كانت الفائدة كبيرة . وقد اشار بذلك الى التجارب الزراعية التي نشرها المستر فودن في الجزء الاول من المجلة الزراعية الصادر في فبراير الماضي وذكرنا خلاصتها في جزء مارس من

المقتطف . واهم ما فيها ان السباخ البلدي الممزوج بالبودرت افاد اكثر من غيرهِ وان استعمال البودرت تكبيشاً خير من استعمالهِ على صورة اخرى

ولكن من يمعن نظرهُ في التجارب التي ذكرها المستر فودن يجد اولاً انها قليلة جدًّا لا يمكن ان يبنى عليها حكم وثانيًا ان نتيجتها غير مضطردة وثالثًا ان بعض الاسمدة لا يفيد شيئًا بل من استعمالهِ خسارة كبيرة و بعضها فائدتهُ قليلة جدًّا كما ترى من الجدول التالي والقسم الاول منهُ عن ارض جيدة زرعت قطناً عباسيًّا والثاني عن ارض منهوكة زرعت من القطن العفيفي

		رطل	قنطار	ثمن السماد	ثمن القطن	الربح	الخسارة
الاول	غلة الفدان بغير سماد	٢١١	٥	٠	١٤١٨		
	غلتهُ بسماد نيترات الصودا	٢١	٣	٩٤	٠٨٦٦		٨٦٠
	" " اعلى فصفات	١٣٠	٦	١١٥	١٦٠٠	٦٧	
	" " الكاينيت	٠٧٠	٦	٧٠	١٥٥٠	٦٢	
الثاني	غلة بغير سماد	١٧٦	٥	٠	١٣٩٠		
	" السماد الغوانو	٢٨٣	٦	٣٥٠	١٧٢٥	٠	١٥
	" نيترات الصودا	١٩٣	٦	٩٤	١٦٥٢	١٦٦	
	" اعلى فصفات	٢ ٦	٥	١١٥	١٤١٠		٩٥
	" الكاينيت	١٩٦	٥	٧	١٤٠٢		٥٨
	" البودرت	٠ ٣	٧	٢٧٦	١٧٥٠	٨٦	

وقد فرضنا ثمن القنطار فيهما ٢٥٠ غرشاً لا ثلثمئة غرش كما فرضهُ المستر فودن لان الثمن الذي فرضناه اقرب الى متوسط ثمن القطن . واذا كان الثمن اقل من ذلك قلَّ الربح من استعمال البودرت ونحوهِ من الاسمدة المفيدة . ولذلك ولان هذه التجارب قليلة جدًّا حتى الآن لا يصحُّ الاعتماد عليها

اما اختلاف النتيجة فقد يمكن تعليلهُ باختلاف الارض لان التجارب الاولى أُجريت في ارض جيدة والثانية في ارض منهوكة ولكنَّ الاختلاف كبير جدًّا ولا سيما في نيترات الصودا فانهُ كان من استعمالهِ في التجربة الاولى خسارة كبيرة ٨٦٠ غرشاً للفدان الواحد وفي التجربة الثانية ربح يساوي ١٦٦ غرشاً . والظاهر ان البودرت لم يستعمل في التجربة الاولى وسواء استُعمل او لم يستعمل فالربح قليل منهُ لا يساوي ما يقتضيهِ استعمالهُ من العناية وما يحتمل

حدوثهُ من الغش او من الضعف في نوعهِ ولو عن غير قصد الغش

ولذلك كلهِ لا نظن ان احدًا من ارباب الزراعة يبتاع سمادًا كيماويًا غالبًا يسمد بهِ قطنهُ الاَّ على سبيل التجربة في بقعة صغيرة جدًّا من الارض

واذا ثبتت فائدة السماد بالامتحان يبقى على الحكومة ان تمتحن انواع السماد وتعطي اصحابها شهادة بما فيها من العناصر اللازمة لجودة القطن . وخير من ذلك ان يتفق اصحاب السماد والمزارعون على ان يكون ثمن السماد جانبًا مما يزيد في المحصول كأن يسمد المزارع مئة فدان من اطيانهِ بالسماد المعطى لهُ ويترك عشرة افدنة من غير سماد فما يزيد في متوسط غلة المئة فدان يكون جانب منهُ لصاحب السماد . مثال ذلك سمد زيد مئة فدان بالبودرت وترك عشرة افدنة من نوع الاطيان الاولى من غير سماد فبلغ متوسط غلة الفدان من هذه خمسة قناطير ومتوسط الفدان من الاولى سبعة قناطير فالقنطاران زادا بفعل السماد . ويتفق الاثنان اولاً على اقتسامهما كأن يأخذ صاحب السماد قنطارًا منهما بدل سمادهِ والمزارع القنطار الآخر بدل تعبهِ ومخاطرتهِ . وهذا الاسلوب متبع عند الذين يقدمون بزر القز لمربي الدود في بعض البلدان فانهم يأخذون جانبًا من المحصول بدل ثمن البزر

بنجر السكَّر

ابنَّا في مكان آخر في هذا الباب ان السكَّر الذي يُستخرج من القصب يقل عن ثلاثة ملايين طن في السنة والسكر الذي يستخرج من البنجر يزيد على خمسة ملايين ونصف مليون طن او ان سكر البنجر صار مضاعف سكَّر القصب على قدَم استخراج السكر من القصب وحداثة استخراجهِ من البنجر فانهُ استخرج من القصب منذ اكثر من الف سنة ولم يستخرج من البنجر الاَّ منذ نحو مئة سنة وكان المستخرج منهُ في اوربا كلها منذ خمسين سنة ١٦٠ الف طن لا غير

وقد اشرنا غير مرة الى ان البعض جلبوا بنجر السكر الى هذا القطر وامتحنوا زراعتهُ فيهِ وهم يرجون انها تكون زراعة رابحة

والظاهر انهُ يمكن زرع البنجر في القطر المصري في كل فصل من فصول السنة ولكن اذا اريد تشغيل المعامل في اوقات محدودة فلا بدَّ من ان يكون الزرع ايضًا في اوقات محدودة ومن رأي المستر فودن ان الزراعة الصيفية تبتدئ في الوجه القبلي من فبراير وتنتهي في آخر ابريل اما في الوجه البحري فلا يمكن التبكير كذلك لان الارض التي يمكن خدمتها باكرًا تزرع الآن قطنًا ولا يسهل اقناع الناس بزرع البنجر في ارض تزرع قطنًا ولكن الفول يزال

من الارض في ابريل فيمكن زرعها بنجرًا بعدهُ . ثم ان الحنطة والشعير يحصدان في مايو فيمكن زرع البنجر بدلاً منهما واذا بقي البنجر في الارض ستة اشهر الى سبعة يبقى الوقت كافيًا بعدهُ لزرع الارض وارض البنجر تصلح لزرع القطن لانها لا تستدعي الاَّ قليلاً من الخدمة

والموسم الشتوي يزرع من اغسطس الى اوائل اكتوبر ثم يجنى من يناير الى آخر ابريل حسب وقت زرعهِ

وقد ابانت التجارب التي جرِّبت في العام الماضي ان السكر يكون كثيرًا في البنجر حسب المنتظر او اكثر من المنتظر . ولكن غلة الفدان من البنجر كانت اقل من المنتظر فمعظم ما بلغتهُ احد عشر طنًّا و ٧٢ في المئة في ارض الجمعية الزراعية في الجيزة واقل ما بلغتهُ نحو سبعة اطنان في اراضي القصر العالي في كفر الحمام والمتوسط نحو تسعة اطنان مع ان المتوسط في فرنسا اكثر من احد عشر طنًا وفي المانيا اكثر من اثني عشر طنا

الاَّ ان ما نقص في محصول الارض يستعاض اكثرهُ من مقدار السكر فان السكر في فرنسا نحو ١٠ ونصف في المئة من وزن البنجر وفي المانيا ١٢ في المئة واما في القطر المصري فظهر انهُ من ١٥ الى ١٦ في المئة من وزن البنجر فيكون السكر الحاصل من الفدان الواحد في القطر المصري مثل السكر الحاصل من الفدان الواحد في المانيا ولكن يبقى فرق مهم وهو ان ضريبة الفدان في القطر المصري تزيد كثيرًا على ضريبة الفدان في كل البلدان فلا بدَّ من الاهتمام بزيادة محصول الفدان لكي تكون هذه الزراعة رابحة ويقول المستر فودن ان زراعة البنجر لا تكون رابحة الاَّ اذا بلغت غلة الفدان ٤٠٠ قنطار الى ٤٥٠ قنطارًا حتى تفي بنفقات خدمتهِ الكثيرة ويبقى منها ربح كافٍ

واصلح الاراضي لزرع بنجر السكر الارض الطينية الرملية اي الارض الخفيفة التي يسهل حرثها وعزقها وامتداد الجذور فيها واما الارض الثقيلة الطينية الصلبة فلا تصلح لانهُ يصعب على جذور البنجر النمو فيها . ولا بدَّ من حرث الارض مرارًا وتنعيم ترابها جيدًا ويجب ان يكون الحرث عميقًا ثم تمهد وتسهل حتى تعتدل وتعمها مياهُ الري ولا يركد الماء في بعضها . ثم تخطط خطوطًا البعد بين الخط الواحد والآخر ٧٥ الى ٨٠ سنتيمترًا من رأس المصطبة الواحدة الى رأس المصطبة الأُخرى ويزرع بزر البنجر في ثقوب متوالية على جانبي المصطبة والبعد بين الثقب والآخر ١٨ سنتيمترًا في الارض الضعيفة الى ٢٢ سنتيمترًا في الارض الجيدة ويكفي ان يكون عمق الثقب ثلاثة سنتيمترات . وتروى الارض بعد زرع التقاوي فيها كما تروى وقت زرع القطن . او تروى قبل الزرع ثم تزرع حالما تجف قليلاً

ويمكن زرع البزر في اسفل الخط و يغطى حينئذٍ بقليل من التراب باليد و يكون البعد بين نبات وآخر اربعين سنتيمترًا

و يبتدئ النبات يظهر بعد زرعهِ بخمسة ايام الى ستة ولا يتم ظهورهُ كلهِ قبل عشرة ايام الى ١٥ يومًا و يعزق بالفاس و يخفف حينما يصير في كل نبات اربع ورقات حتى لا يبقى الاَّ نبات واحد في كل نقطة واذا كان الزرع في المصاطب فكثير من النبات لا يظهر ابدًا ولا بدَّ من ترقيعهِ حينئذٍ بنقل نبات آخر الى مكانهِ اما من النبات الذي قلع بالخف او من مكان يزرع فيهِ النبات لاجل الترقيع خاصة وهذا هو الافضل

واذا كان الزرع في قلب الخطوط بين الاتلام فقلما يبقى مكان فارغًا من النبات . ويخفف النبات حينئذٍ بسهولة وقت عزقهِ

ولا يبقى من الخدمة بعد ذلك الاَّ العزق الكثير والري القليل من وقت الى آخر. والغالب ان البنجر يحتاج الى اربع ريات او خمس فقط لان جذرهُ طويل يغور في الارض كثيرًا ويجد فيها الرطوبة اللازمة لهُ والماء الكثير يضرُّ بهِ . واذا ذبل الورق في منتصف النهار فلا يدل ذلك على عطشهِ لانهُ يعود فينتعش من نفسهِ في الليل

وقد عرضت شركة تكرير السكر جوائز كبيرة لمن يزرع البنجر ويكون حاصل الفدان عندهُ اكثر من حاصلهِ عند غيرهِ وجعلت الجوائز لمن يزرع خمسين فدانًا فاكثر تسعًا الاولى ٦٠ جنيهًا والثانية ٥٠ والثالثة ٤٠ والرابعة ٣٥ والخامسة ٣٠ وهلمَّ جرًّا ولمن يزرع ١٥ فدانًا فاكثر الى ٤٩ تسعًا ايضًا الاولى ٤٥ جنيهًا والثانية ٤٠ والثالثة ٣٠ والرابعة ٢٥ وهلمَّ جرًّا . والجوائز لمن يزرع من ٤ افدنة الى ١٥ فدانًا تسعًا ايضًا الاولى ٣٠ جنيهًا والثانية ٢٥ والثالثة ٢٠ وهلمَّ جرًّا وتعهدت بانها تبتاع القنطار منهُ بثلاثة غروش ونصف غرش واصلاً الى المعمل فاذا بلغت غلة الفدان عشرة اطنان اي ٢٢٠ قنطارًا بلغ ثمنها واصلاً الى المعمل ٧٧٠ غرشًا وهي تقدم البذار مجانًا والظاهر انهُ لا بدَّ للمتبارين من استعمال نوع من الاسمدة فاذا بلغ ثمن السماد للفدان الواحد مئة غرش واجرة نقل البنجر من الاطيان الى المعمل مئتي غرش اي عشرين غرشًا عن كل طن بقي من ثمن البنجر ٤٧٠ غرشًا وذلك لا يكفي ايجارًا لارض تبلغ غلتها عشرة اطنان فلا ندري كيف يكون من زرع البنجر ربح وثمن القنطار منهُ ثلاثة غروش ونصف غرش فقط واصلاً الى المعمل الاَّ اذا بلغت الغلة ٤٠٠ قنطار او ٤٥٠ قنطارًا اي مضاعف ما بلغتهُ حتى الآن في اراضي الجناب الخديوي وفي اراضي الجمعية الزراعية او اذا ثبت ان زراعة البنجر نصف زراعة والارض التي تزرع بنجرًا تزرع موسمًا آخر في

السنة نفسها لا تقل غلتهُ عن غلة البنجر وهذا هو الواقع على ما يظهر وعليهِ الاعتماد

موسم الحرير في الدنيا

سنة ١٨٩٩

موسم الصين (الصادر منهُ)	٢٤ ٦٠٧ ٠٠٠	ليبرة
" ايطاليا	٠٧ ٣٩٨ ٧٠٠	"
" تركيا	٠٢ ٥٨٧ ٢٠٠	"
" فرنسا	٠١ ٢٣٢ ٠٠٠	"
" بلاد الهند	٠٠ ٧٧٠ ٠٠٠	"
" بلاد القوقاس	٠٠ ٦٨٢ ٠٠٠	"
" النمسا والمجر	٠٠ ٦٠٧ ٢٠٠	"
" ايران وتركستان (الصادر)	٠٠ ٥٢٨ ٠٠٠	"
" اسبانيا	٠٠ ١٧١ ٦٠٠	"
" اليونان	٠٠ ٠٧٤ ٨٠٠	"
والجملة	٣٨ ٦٥٨ ٤٠٠	"

موسم بزر الكتان

	١٨٩٨		١٨٩٩
اميركا	٢٤ ٦٥١ ٠٠٠	بشل	٢٩ ٦٠١ ٠٠٠
اوربا	٣١ ١٥٩ ٥٠٠	"	٢٠ ١٢٥ ٠٠٠
الهند الانكليزية	١٧ ١١٥ ٠٠٠	"	١١ ٨٢٧ ٠٠٠
الجزائر	٠٠ ٠١٣ ٥٠٠	"	٠٧ ٠٠٠ ٠٠٠
والجملة	٧٢ ٩٣٩ ٠٠٠	"	٦٨ ٥٥٣ ٠٠٠

احصاء القطن

الاحصاء التالي بالبالات الاميركية في البالة منها ٥٠٠ ليبرة اي نحو خمسة قناطير مصرية

وقد ذكر فيهِ الموسم الذي انتهى سنة ١٨٩٩ والموسم الذي انتهى سنة ١٩٠ من القطن الشعر

	١٨٩٩	١٩٠٠
موسم الولايات المتحدة الاميركية	١١ ٠٧٨ ٠٠٠	٩ ١٣٧ ٠٠٠
" الهند الانكليزية	٠٢ ٢٤٥ ٨٢٩	١ ٥٩٢ ٠٠٠
" مصر	٠١ ٠٩٨ ٥٩٦	١ ٢٢٨ ٠٠٠
" برازيل وغيرها	٠٠ ١٧٦ ١٩٦	٠ ٢٥٠ ٠٠٠
والجملة	١٤ ٧٩٨ ٦٢١	١٢ ١٧٧ ٠٠٠

هذا من حيث نتاج الارض اما استعمالهُ غزلاً ونسجًا فاكثرهُ في البلدان التالية

	١٨٩٧—١٨٩٨	١٨٩٨—١٨٩٩
بريطانيا العظمى	٣ ٤٣٢ ٠٠٠	٣ ٥١٩ ٠٠٠
بقية اوربا	٤ ٦٢٨ ٠٠٠	٤ ٨٣٦ ٠٠٠
الولايات المتحدة الاميركية	٢ ٩٦٢ ٠٠٠	٣ ٥٥٣ ٠٠٠
الهند	١١٤١ ٠٠٠	١٢٩٧ ٠٠٠
بقية البلدان	٠٧١٣ ٠٠٠	٠٧١٧ ٠٠٠
والجملة	١٢٨٧٦ ٠٠٠	١٣٩٣٢ ٠٠٠

الاهتمام بجراج السودان

من انفع اعمال حكومة السودان الاهتمام بما فيها من الحراج لكي لا تقل اشجارها بكثرة ما يقطع منها وقلة ما يزرع بدلاً منهُ . ولكي تعلم فائدة اشجارها من حيث ما يصلح منها للبناء وما يستخرج منهُ الصمغ ومواد الدباغة والصباغة وينتفع باثمارهِ والياقهِ وما اشبه. وقد استخدمت رجلاً من العارفين بزرع الغابات وحفظها فطاف في انحاء السودان وبحث عما فيها من الاشجار المختلفة وفائدة كل نوع منها وكيفية انمائهِ ووقايتهِ ووضع تقريرًا مسهبًا في ذلك سنلخص بعض ما فيهِ بعد نشرهِ ولا بدَّ من ان يكون من جملة المرغبات للناس في الذهاب الى السودان واستيطانهِ لانهُ واسع الارجاء كثير الخيرات على قلة سكانهِ فيسع اضعاف اضعافهم. ويبعد عن الظن انهُ يصلح لسكن الاوربيين لشدة ما فيهِ من الحرّ فيبقى المجال واسعًا فيهِ للمصريين وغيرهم من الشرقيين

احصاء السكَّر

ورد في كتاب الاحصاء السنوي الذي يصدر في الولايات المتحدة الاميركية انهُ أُستخرج من السكر سنة ١٩٠٠ نحو ثمانية ملايين طن وهي تستخرج من البلدان المختلفة على ما في هذا الجدول والمقادير المذكورة فيهِ بالطن وهو يساوي ٢٢ قنطارًا مصريًّا

سكر القصب		سكر البنجر	
جاوى (الصادر منهُ)	٧٢٢ ٠٠٠	المانيا	١٧٩٠ ٠٠٠
كوبا	٣٩٥ ٠٠٠	النمسا	١١٢٠ ٠٠٠
هواي	٢٧٥ ٠٠٠	فرنسا	٠٩٧٠ ٠٠٠
الولايات المتحدة	١٨٢ ٠٠٠	روسيا	٠٩٠٠ ٠٠٠
برازيل	١٧٥ ٠٠٠	بلجيكا	٣٠٠ ٠٠٠
موريتوس	١٥٥ ٠٠٠	هولندا	٠١٨٠ ٠٠٠
الهند الغربية البريطانية	١٣٤ ٠٠٠	بقية اوربا	٠٢٧٥ ٠٠٠
كوينس لند	١٢٢ ٠٠٠	الولايات المتحدة	٠٠٧٢ ٠٠٠
بيرو (الصادر منها)	١٠٠ ٠٠٠	وجملة سكر البنجر	٥٦٠٧ ٠٠٠
مصر	٠٩٤ ٠٠٠	وجملة سكر القصب	٢٨٣٩ ٠٠٠
ارجنتين	٠٩٠ ٠٠٠	وجملة السكر كلهِ	٨٤٤٦ ٠٠٠
غينيا البريطانية (ص)	٠٨٠ ٠٠٠		
الهند الغربية الفرنسوية	٠٦٥ ٠٠٠		
هيتي وسنت دومنغو	٠٥٥ ٠٠٠		
فيلبين	٠٤٠ ٠٠٠		
ريونيون	٠٣٥ ٠٠٠		
فيجي	٠٣٠ ٠٠٠		
اميركا المتوسطة	٠٢٢ ٠٠٠		
نيوسوث وايلس	٠١٥ ٠٠٠		
الهند الغربية الدنماركية	٠١٢٠٠٠ ٠		
بقية البلدان	٠٣٤ ٠٠٠		
والجملة	٢٨٣٩ ٠٠٠		

باب الصناعة

معامل القطن

لما امرت الحكومة المصرية بربط المال على ما يُغزَل ويُنسج في المعامل المصرية الكبيرة حتى لا يقل المال الذي تأخذهُ جمركاً على المغزولات والمنسوجات الواردة من اوربا راعت في ذلك مصلحتها الوقتية لا مصلحة بلادها الدائمة ولذلك لا يبعد ان تلغي امرها هذا قريباً وتأمر بما يقوي عزائم الناس على انشاء المعامل كأن تسمح لهم بجلب ادواتها من غير ان يدفعوا عليها رسوم الجمرك كما تفعل الحكومة العثمانية. وقد تخسر بذلك بعض الخسارة ولكن اذا ربحت البلاد من وراء هذه المعامل فلا بدَّ من ان يعود جانب من الربح على الحكومة ان لم يكن من هذا الباب فمن ابواب اخرى. وكلما زادت ثروة الامة زادت ثروة حكومتها كما لا يخفى . واذا امكن ان تنشأ في مصر معامل تغزل كل قطنها وتنسجهُ وترسل منسوجاتها الى الاقطار الشاسعة ربحت حكومة مصر من ذلك اضعاف ما تربحهُ الآن من اصدار القطن المصري وجمرك المنسوجات التي ترد الى هذا القطر

وقد اطَّلعنا الآن على مقالة مسهبة في جريدة السينتفك اميركان تبين منها نفقات انشاء المعمل وما يمكن ان ينتج منهُ من الربح اذا تولَّى ادارتهُ اناس امناء . ومما قالتهُ في هذا الصدد ان معامل القطن زادت في الولايات الجنوبية على نسبة لا مثيل لها في بلاد اخرى فكان فيها منذ سبعين سنة عشرة آلاف مغزل فقط وقد صار فيها الآن خمسة ملايين مغزل . وكان عدد المعامل ٣٢٥ معملاً سنة ١٨٩٥ وعدد المغازل فيها ٢٤٠٠٠٠٠ فصار عدد المعامل الآن ٤٨٥ معملاً وعدد مغازلها ٥٠٠٠٠٠٠ كما تقدَّم

ويمكن انشاء معمل فيهِ اربعة آلاف مغزل بخمسة عشر الف جنيه لا غير وانشاء معمل فيهِ ١٣ الف مغزل بخمسة وثلاثين الف جنيه . وذلك يشمل اقامة البناء من الحجر والطوب الاحمر وانارتهُ بالنور الكهربائي واحماءهُ بالبخار وانشاء المخازن اللازمة لخزن القطن ووضع كل الآلات والادوات اللازمة للغزل والنسج

والمعمل الذي نفقاتهُ ١٥ الف جنيه يغزل في الاسبوع من خمسين بالة الى ستين ولا بدَّ لهُ من اربعين عاملاً لاجل مغازلهِ وحدها وتبلغ نفقات العمال ١٥ في المئة وثمن المواد

والاستهلاك وهرش العدد ٦٥ في المئة فيكون الربح الصافي ٢٠ في المئة

واذا كان في معمل ١٠٠٠٠ مغزل و ٣٢٠ نولاً لزم لهُ ناظر وهو يكون امين الصندوق ايضاً ولزم لهُ ايضاً كاتب ومدير . وهؤُلاء الثلاثة يتولون ادارتهُ وراتب الناظر ٥٠٠ جنيه في السنة وراتب المدير من ٣٠٠ جنيه الى ٤٠٠ جنيه وراتب الكاتب من ٢٤٠ جنيهاً الى ٣٠٠ جنيه . وتزاد هذه الرواتب باتساع المعامل وزيادة التعب والمسئولية والربح فناظر معمل فيهِ مئة الف مغزل يأْخذ الى حد ثلاثة آلاف جنيه في السنة والكاتب الى حد خمس مئة جنيه والمدير الى حد الف جنيه وقد يكون لهُ مساعد ايضاً . وتبلغ نفقات الحصان البخاري في السنة من جنيهين ونصف الى ثلاثة جنيهات ونصف . والآلة التي قوتها اربع مئة حصان يكفيها ستة اطنان من الفحم الحجري الى ثمانية في اليوم اذا دارت احدى عشرة ساعة

والمباني التي تقام فيها هذه المعامل رخيصة جدًّا ارخص مما هي في القطر المصري ولكن اجرة العمال هناك اغلى مما هي هنا . وهذه المعامل توزّع ربحاً على المساهمين فيها من ١٠ الى ١٥ في المئة سنويًّا بعد ان تخصم ١٠ في المئة لهرش العدد . وبعضها يربح الى حد ٣٠ في المئة سنويًّا انتهى

عدد مغازل القطن في الدنيا

في بريطانيا العظمى	٤٦٠٠٠٠٠٠	مغزل
في بقية اوربا	٣٣٠٠٠٠٠	"
" الولايات المتحدة الاميركية	١٨٥٩٠٠٠٠	"
" الهند الشرقية	٠٤٤٠٠٠٠٠	"
" اليابان	٠١٥٠٠٠٠٠	"
" الصين	٠٦٠٠٠٠٠	"
" كندا	٠٠٦٤٠٠٠٠	"
" المكسيك	٠٠٤٦٠٠٠٠	"

زيت اوراق الصنوبر

صناعة جديدة

لا يخفى علي الذين زاروا جبال لبنان ومروا تحت حراج الصنوبر التي فيها ان هواء تلك الحراج يكون معطَّراً برائحة راتينجية طيبة جدًّا . ويقول البعض ان هواء الصنوبر يشفي من

الامراض الصدرية . والظاهر ان لهذا القول ثبتاً علمياً فان في اوراق الصنوبر زيتاً عطرياً يفيد في الامراض الصدرية ويزيل الارَق . والاوراق نفسها تُجفَّف الآن في اميركا حتى تجف ولا تيبس ثم تحشى بها الفرش والوسائد فتبقى رائحتها فيها حتى اذا نام عليها المصابون بالارق زال الارق منهم. و يعطر الصابون بالزيت الذي يستخرج منها فيصير من اطيب ما يكون

واذا نزع الورق الاخضر من شجر الصنوبر لم يلحق بهِ ضرر من نزعهِ منهُ بل يقال انهُ يستفيد من ذلك

ويجمع الورق بعد نزعهِ ويوضع في انابيق كبيرة و يستخرج الزيت منهُ بالاستقطار كما يستخرج العرق وماء الزهر و يخرج من كل الفي رطل من الورق عشرة ارطال من الزيت لا غير. فعسى ان يجرب احد اللبنانيين استقطار الزيت من ورق الصنوبر لاننا نظنهُ عملاً رابحاً ولو كان الصنوبر السوري اصغر ورقاً من الصنوبر الاميركي

الصنائع وتعضيدها

الحاجة ام الاختراع فاذا بدت الحاجة الى شيء وشعر كثيرون بها فذلك دليل على ان الهمم ستنضى الى ايجاد ذلك الشيء . وهذا شأن الصنائع في القطر المصري ولا سيما الصنائع الصغيرة فان الحاجة ماسة اليها وقد شعر كثيرون بهذه الحاجة فلا بدَّ من ادراك الصنائع المطلوبة

ومعلوم انهُ اذا اشترك اثنان في مصلحة واحدة وادرك احدهما وجوب الجري على خطة ما قبلما ادركها الآخر ترتب على الذي ادركها اولاً ان يجري عليها اولاً وهذا شأن القطر المصري فان الحكومة والرعية مشتركتان في مصلحة واحدة وقد ادركت الحكومة قبل الامة وجوب انشاء المدارس الصناعية والمعامل الصناعية فيحسن بها ان تشرع في ذلك لتكون مثالاً للامة و يسرُّنا انها شرعت منذ مدة وهي تعلم الصنائع البسيطة الآن في مدارسها الصناعية في بولاق والمنصورة وفي سجونها ايضاً ولا سيما سجن الاحداث . ولم تقصر الامة عن مجاراة الحكومة فان في البلاد الآن ورشاً كبيرة للنجارة والحدادة والطباعة والنسج وهي تزيد عدداً واتقاناً يوماً فيوماً

والربح هو الباعث الاول على انشاء المعامل الصناعية والمساعد الاكبر على اتقانها فاذا لم يربح الصانع من صناعتهِ ولا صاحب المعمل من معملهِ فلا امل انهما يوسعان تلك الصناعة او يتقنان ذلك العمل واذا وقفت لهما الحكومة بالمرصاد تثبط عزائمهما بالضرائب وتناظرهما ببخس الاسعار اماتت صناعتهما حتماً . اما الضرائب فنريد بها ما اقرَّت الحكومة المصرية عليهِ حديثاً من فرض ضريبة على مغزولات القطر المصري ومنسوجاتهِ التي تصنع في المعامل الكبيرة تساوي

عوائد الجمارك المصرية حتى لا يرغب الناس في مصنوعات بلادهم عما يرد اليها من الخارج . وحجة الحكومة في ذلك انها تخشى من ان يقلّ ايراد جماركها . وقياساً عليهِ يحق لها ان تمنع اهل البلاد من زرع الحبوب على انواعها فانها اذا فعلت ذلك اضطرّ الناس ان يجلبوا من الخارج نحو عشرين مليون اردب كل سنة من القمح والذرة ونحوهما من الحبوب والاَّ ماتوا جوعاً واذا فرضنا ان ثمنها ١٥ مليوناً من الجنيهات بلغت العوائد عليها مليوناً ومئتي الف جنيه فهل يجوز لها ان تمنع الناس من زرع الحبوب لكي تربح مليوناً ومئتي الف جنيه في السنة أَو لا يكون في ذلك خراب بلادها . وهذا شأن معامل القطن فانهُ اذا كان منها ربح للبلاد وجب تعضيدها بكل واسطة ممكنة واذا لم يكن منها ربح أُهملت من نفسها

هذا من حيث اضعاف العزائم بالضرائب . اما المناظرة فظاهرة من انها تستطيع ان ترخص مصنوعاتها اكثر مما يستطيع غيرها على ترخيص مصنوعاتهِ لان رؤَساء معاملها والعمال فيها يأخذون اجورهم من خزينة الحكومة اي من الاهالي فلا يتعذر عليهم ان يبيعوا المصنوعات بابخس الاثمان ولا خسارة عليهم . خذْ مثالاً لذلك المطبعة الاميرية فان الامة المصرية بنت ما فيها من المباني الفخيمة واشترت ما فيها من الآلات والادوات وهي تدفع اجور ناظرها وعمالها . ونقدّر مبانيها وآلاتها بالوف من الجنيهات ولو اضافت هذه المطبعةُ الى اجرة ما تطبعهُ ربا راس المال كلهِ ولا نظن ان رأس المال اقل من خمسين الف جنيه واضافت اليها ايضاً ما يلزم للترميم والتجديد والاموال التي تدفعها لها الحكومة لعجزت عن مناظرة كل مطبعة اخرى في رخص الاثمان اما وهي لا تحسب رباً لراس المال ولا تبخل عليها الحكومة بالنفقات اللازمة فتستطيع ان تناظر كل المطابع وتقلل ارباحها وتمنع اتقانها فكأنَّ الحكومة تأخذ اموال الامة لتمنع بها ارتقاء الامة

وهي تفعل كذلك لو باعت مصنوعات مدارسها الصناعية بارخص مما تباع مصنوعات غيرها فانها تكون آفةً على احياء الصناعة وارتقائها في هذا القطر . فعسى ان تنتبه لذلك لئلا يكون احياؤُها للصناعة اماتةً لها

المعرض الصناعي

رأينا في المعرض الزراعي الماضي ان صناع الافرنج تسابقوا في عرض مصنوعاتهم فيهِ حتى صار معرضاً صناعياً اجنبياً او سوق تجارة اكثر مما هو معرض زراعي فكأَنَّ الحكومة المصرية وصندوق الدين اتفقا على فتح سوق للآلات والادوات الاوربية والاميركية حتى تروج

سوقها في هذه البلاد على نفقة دافعي الضرائب من المصريين . لكنَّ تسابق التجار الى عرض المصنوعات في المعرض الزراعي واقبال الناس عليها حتى ان بعضها بيع مرارًا كثيرة يحدوان بالحكومة الى انشاء معرض آخر خاص بالصناعة تجعل القسم الاكبر منهُ للمصنوعات الوطنية مهما كان نوعها وتعطي الجوائز فيهِ للصناع الوطنيين ويمكنها ان تجعل دخلهُ من تأجير الاماكن للتجار الذين يعرضون فيهِ المصنوعات الاوربية فيستفيد الجميع في وقت واحد ويشجع الصناع الوطنيون على اتقان صنائعهم . هذه امنية نعرضها على ذوي الشان ونرجو ان تحقق في المستقبل القريب

باب التقريظ والانتقاد

السياسة الشرعيَّة

للمرحوم السيد عبد الله جمال الدين قاضي قضاة مصر مقام رفيع بين رجال العلم والفضل فاذا قال قولاً اتُخذ قولهُ حجَّة وسندًا ولذلك احسن حضرة ناشر هذا الكتاب بطبعهِ ونشرهِ وهو ينطوي على مقدمة وفصول كثيرة وقد قال في المقدمة انهُ "لم يُحافظ على سراط العدل كما ينبغي بعد الخلفاء الراشدين ولم يسلم الناس من سفك الدماء بلا طائل وهتك الاعراض واغتصاب الاموال قضاءً لاوطار شخصية حتى بات السلاطين والحكام والامراءُ بعد ذلك وهم لا يجتنبون ارتكاب المظالم واقامة البدع باسم السياسة . واول دولة من الدول الاسلامية المتعاقبة بادرت الى رفع معاملات الظلم والاعتساف فقيدت وظائف الولاة والحكام بالقوانين ومنعت التصرُّف في امور الرعية بحسب الاهواء هي الدولة العثمانية" . ولم يذكر المؤلف رحمهُ الله متى تمَّ ذلك للدولة العلية ولكن لا شبهة في انهُ لم يتم الاَّ حديثًا في النصف الاخير من القرن الماضي واما النصف الاول منهُ فيكفي للدلالة على احوالهِ ما كنا نقرأهُ الآن في تاريخ الجبرتي قبل ان اخذنا القلم لتقريظ هذا الكتاب عن حوادث سنة ١٢٢٢ للهجرة فقد جاء فيهِ ان الانكليز اتوا الاسكندرية في ذلك العام بطلب الالفي واشترطوا على انفسهم ان لا يسكنوا البيوت رغمًا عن اصحابها بل بالمؤاجرة والتراضي ولا يمتهنوا المساجد ولا يبطلوا منها الشعائر الاسلامية وتبقى المحكمة الاسلامية مفتوحة تحكم بشرائعها وامَّنوا الاهالي والحكام والجنود ولم يؤذوا احدًا فقام الحكام والجنود لطردهم من القطر . وانظر ماذا فعلوا في هذا

السبيل نقلاً عن الجبرتي " اكلوا زروعات الجميع وخطفوا مواشيهم وفجروا بالنساء . . . . واخذوا الغلمان وباعوهم فيما بينهم حتى باعوا البعض بسوق مكة وهكذا يفعل المجاهدون ولشدَّة قهر الخلائق منهم وقبح افعالهم تمنوا مجيء الافرنج من اي جنس كان وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة". هذا كان شان الافرنج في ذلك الحين وشان الحكام والجنود وشان الامة . الافرنج يدخلون البلاد فلا يسيئون الى احد والحكام والجنود يقومون للجهاد فينهبون اموال الامة ويوقعون بها شر انواع العذاب والامتهان والامة تستغيث ولا مغيث كل ذلك والشريعة بين ايدي الناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر والسنَّة تقول " من وُلّي من امر المسلمين شيئًا فولّى رجلاً وهو يجد من هو اصلح للمسلمين منهُ فقد خان الله ورسولهُ والمسلمين "

وفصول الكتاب كثيرة كما تقدَّم اولها في مشروعية السياسة . ولو قرأ المؤلف كتب سبنسر لقال ان السياسة نتيجة لازمة عن العمران لكن بحثهُ حسن جدًّا وادلتهُ من الشريعة والسنة واقوال الجماعة مقنعة دينًا وفلسفةً . ومن الاحاديث التي استشهد بها ما هو في غاية الارهاب كقولهِ " القضاة ثلاثة قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار" وقال " ان القاضي يطلق على السلطان والحكام والنوّاب جميعاً فهؤلاء كلهم داخلون تحت الحكم المستفاد من الحديث الشريف حتى اهل الخبرة الذين يميزون بين الخطين فقد جاء في بعض الآثار ان صبيين حكَّما الامام الحسن رضي الله عنهُ ليحكم في اي خط من خطين كتباها اجود من الآخر فلما رأى الامام علي رضي الله عنهُ ذلك قال للامام الحسن" يا بُنيَّ انظر كيف تحكم لان هذا حكم يسألك الله عنهُ يوم القيامة "

ويلي ذلك فصول مختلفة في المشورة والعدل والظلم والولايات وفوائد حسن السياسة وما اشبه

والكتاب مطبوع طبعاً حسنًا في مطبعة الترقي

الدليل العصري للقطر المصري

لصاحبهِ ومحررهِ صالح جودت

يسرُّنا ان نرى بين الكتب التي ترد الينا شهرًا فشهرًا للتقريظ والانتقاد كتباً يطلب اصحابها منا ان ننتقدها ولا نقتصر على تقريظها فقد كتب الينا حضرة مؤلف هذا الدليل يقول "ولست بمرسل اليكم هذا المؤلف لمحض النشر عنهُ ترغيباً للناس فيهِ بل لي غرض اسمي وهو ابداء رأيكم فيهِ وتنبيهي الى ما ترون تنبيهي اليهِ مما يساعد على تحسينهِ في المستقبل " . ونظن انهُ كتب الى غيرنا من اصحاب الصحف بمثل ما كتب الينا ولم يكتفِ بذلك بل ابقى في الكتاب

مكاناً فارغاً ليكتب فيهِ كل مطلع عليهِ ما يعنُّ لهُ من الآراء ثم يبعث بها الى المؤلف وهو غرض حميد يشكر عليهِ ولكن كثرة الآراء قد تضرُّ اكثر مما تفيد على حدّ قول العامة “بكثرة الطباخين يشوط الطعام”. فاذا كان المؤلف قد استطاع ان يتحفنا في السنة الاولى بدليل جامع لاشتات الفوائد مثل هذا الكتاب فلا شبهة في ان دليلهُ يكون اغزر فائدة في سنيهِ التالية

والظاهر ان الغرض المقصود بالذات من هذا الدليل ذكر اسماء القائمين بمهام الامور والمتولين زمام الاحكام وهذا لم نرهُ في دليل عربي حتى الآن وقد وفاهُ المؤلف حقهُ من الجمع فذكر اسماء كل دوائر الحكومة في العاصمة والمحافظات والمديريات والمراكز واسماء كل الموظفين مثال ذلك مديرية البحيرة ذكر اولاً مساحتها وهي ٦٨٤٠٠٠ فداناً وعدد سكانها وهو ٦٣١٢٢٥ وقال ان بندرها دمنهور ومراكزها سبعة ثم ذكر اسماء المدير ووكيل المديرية والحكمدار والباشكاتب ورئيس الادارة ورئيس الايرادات ومعاوني الادارة وهم اثنا عشر وموظفي المصالح الاميرية فيها اي مفتش الصحة وحكيم الاسبتالية والحكيم البيطري والباش مهندس ومهندس التنظيم وناظر المدرسة الاميرية ورئيس مجلس القرعة والقاضي الشرعي ومفتش الاوقاف . ثم ذكر المراكز مركزاً مركزاً وذكر مساحة كل مركز وعدد سكانهِ وبعدهُ عن البندر واسماء مأمورهِ ومعاون بوليسهِ ومفتش صحتهِ ومهندس الري فيهِ وقس على ذلك سائر المديريات والمراكز . والمديريات التي فيها محاكم ذكر اسماء قضاتها والتي فيها مستشفيات ذكر اسماء اطبائها والتي فيها مدارس اميرية ذكر اسماء اساتذتها ثم ذكر اسماء وكلاء القناصل واسماء الاعيان والوجهاء والتجار والمحامين . واسهب في الكلام على مصر والاسكندرية على ما يقتضيهِ المقام

هذا من حيث موضوع الدليل وهو يشغل الجزء الثاني من الكتاب . اما الجزء الاول ففيهِ فوائد في تقسيم الزمن واسماء الشهور واوقات الاعياد وتقويم سنة ١٩٠١ في اسفل كل صفحة منهُ توقيعات لا محل لاكثرها في كتاب عصري يجمل ان يكون خالياً من الخرافات كقولهِ ان في ١٥ فبراير “تتزاوج الطيور وتورق الاشجار” كأن الطيور لا تتزاوج والاشجار لا تورق الا في يوم معلوم من السنة وفي ١٨ منهُ “يزرع شجر البرتقال واول جمرة في الهواء” وفي ٢٨ يكره الجلوس في الشمس” ويلي ذلك دفتر لحساب الايراد والنفقات وما اشبه واماكن لذكر الحوادث المختلفة التي تحدث اثناء السنة وفوائد علمية وتاريخية وزراعية وطبية ومنزلية

والكتاب مطبوع طبعاً حسناً جداً على ورق جيد فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناءً جميلاً

كتاب مظلوم

في المادّة الطبية والاقراباذين

تأليف فيتالس مظلوم الاجزاجي

كتاب المنهاج الجلي في واجبات الصيدلي

لمؤلفهِ الصيدلي اسبريدون يوسف منسَّى

في الاول من هذين الكتابين كلام وجيز على المادة الطبية مرتب على حروف المعجم ذكرت فيهِ اسماءُ الادوية بالعربية والفرنسوية وكيفية استعمالها ويليهِ قسم ثانٍ في كيفية الاستحضارات الاقراباذينية كالارواح والمراهم والاكاسير والبلاسم والصبغات وما اشبه. وقسم ثالث في فحص البول ورابع في علاج السموم

وفي الكتاب الثاني كلام مسهب على واجبات الصيدلاني من حيث النظافة والمهارة والاعتناء والتدقيق وانواع الموازين والمكاييل والعبارات المستعملة في الصيدليات وهو مطبوع طبعاً متقناً جدًّا غير ان عبارتهُ مشوشة في بعض الاماكن لا يدرك معناها كما ترى في الصفحة ٥١ منهُ واما الكتاب الاول فطبعهُ سقيم في الغالب وعبارتهُ واضحة ولو كانت غير معربة في بعض الاماكن واحكامهُ جلية لا تردُّد فيها وتعجبنا نصيحتهُ للصيدلاني اذا التبس عليهِ شيءٌ في الوصفة حيث يمكن العمل بهذه النصيحة

حفظ الصحة المتزوج والعازب

تأليف المرحوم الامير الاي الدكتور حسين بك رمزي استاذ علم الحيوان في المدارس السلطانية وتعريب محمد افندي توفيق المرعشلي

يضطرُّ الاطباءُ احياناً كثيرة ان يكشفوا ما سترهُ الانسان و يصرحوا بما يأبى الاشارة اليهِ ولو تلميحاً ومن هذا القبيل كثير مما في هذا الكتاب لكن اكثر ما فيهِ معرفتهُ لازمة للجميع رجالاً ونساءً من حين يبلغون سن المراهقة الى انقضاء الاجل وقد يعرفون بعضهُ من تلقاء انفسهم او مما يسمعونهُ من والديهم ومرشديهم ولكن معرفتهُ بالشرح والاسهاب لا تكون الاَّ بدرسهِ في كتاب مثل هذا الكتاب فعسى ان يكون مفيدًا لمطالعيهِ

وقد تولى طبعهُ حضرة الاديب نخله افندي قلفاط باذن من نجل المؤلف وراجع ترجمتهُ حضرة صديقنا الفاضل الدكتور اسكندر بارودي محرر جريدة الطبيب وهو يطلب من المكتبة الكلية في بيروت

باب تدبير المنزل

الاسنان وعسر الهضم

من اهمال بعض الناس اسنانهم يتعرَّضون لامراض كثيرة منها عسر الهضم الذي يضيق دونهُ الصدر وتذهب معهُ راحة الجسم وقد لاح لي ان اشرح اسبابهُ بالاختصار وابين علاقتهُ بالاسنان فاقول

ان كلمة عسر الهضم تطلق على اعراض تصحب المعدة اثناء عملها وهي تنحصر في ما يأتي بالاختصار

تغيُّر الذوق وقلة الشهية وكراهة الاغذية والقيْ والضيق في التنفس الصدري والآلام في المعدة وانتفاخ غازي واسهاك او اسهال

واسباب ذلك عديدة تتفاوت بحسب الغذاء من نوع وكمية وما ينشأُ عن فساد الاسنان لان فسادها يسبب عسر الهضم على وجهين الواحد ان الاسنان الفاسدة لا تكفي لمضغ الطعام ولقد كان احد الاطباء يقول لمرضاه ان في الفم ٣٢ سنًّا فيجب مضغ اللقمة ٣٢ مرة واذا كان بعض الاسنان ناقصاً فقد تدعو الحال الى مضغها ٦٤ مرة

فليس من الحكمة ان تقلع الاضراس من الفم او تبقى فيهِ وقد نخرها السوس من غير ان يوضع بدل المقلوعة وتحشى المنخورة حتى يسهل استعمالها لمضغ الطعام لان اللثة لا تمضغهُ كما يجب ان يمضغ وكذلك القواطع لا تمضغهُ جيدًا لان رؤُوسها محدَّدة غير مسطحة كرؤُوس الاضراس فتصل الاطعمة الى المعدة غير ممضوغة جيدًا حتى اذا دفعتها المعدة الى البواب لم يفتح لها بل ردها من حيث اتت وقد تهيج الغشاء المخاطي المعدي فتنقص العصارة المعدية وتتوالى الاعراض المرضية حتى تسوء الحالة جدًا

ثم ان الاسنان المسوسة يكون فيها ميكروبات الفساد وهذه تمتزج بالطعام وتنزل معهُ الى المعدة فتزيد عسر الهضم عسرًا

الدكتور علي البقلي

غذاء الطفل

يُترَك الطفل بعد ولادتهِ اربع ساعات او خمساً من غير رضاعة لانهُ يكون في جسمهِ من الغذاء ما يغنيهِ عن الطعام وخير لهُ ان يُترَك حينئذٍ لينام الى ان تستريح امهُ وتصير قادرة على ارضاعهِ . ولا يسقى شيئًا مما اعتاد البعض سقيهُ اياهُ لا زبدة ولا زيت خروع ولا شيئًا

آخر لاطلاق بطنهِ لان في لبن امهِ الذي يرضعهُ اولاً خاصَّة اطلاق البطن

ولا يدرُّ لبن الام غالباً قبل اليوم الثالث ولكن يخرج منهُ في اليوم الاول والثاني ما يكفي طفلها الى ان يدر جيداً واذا كان لبنها قليلاً جداً او تأخر درُّهُ لسبب من الاسباب فلا بدَّ من سقي الطفل شيئاً من لبن البقر ممزوجاً بضعفَيهِ ماءٍ ومحلَّى بقليل من السكَّر يسقى منهُ قليلاً كل اربع ساعات ولا بدَّ من ابطال ذلك حالما يدرُّ لبن امهِ . واللبن الذي يسقاهُ الطفل يجب ان يكون سخناً قليلاً حرارتهُ كحرارة الدم لا اكثر ولا اقل

وارضاع الطفل من اهم واجبات امهِ الاَّ اذا كانت مريضة بالخنازيري او السل او الجذام او نحو ذلك من الامراض او كان في عقلها خلل ما فلا يجوز حينئذٍ ان ترضع طفلها لئلا تنقل اليهِ جراثيم المرض الذي فيها ولكنها اذا كانت سليمة من الامراض فخير لها ولطفلها ان ترضعهُ لاسيما وان الرضاعة تؤَخر الحمل سنة من الزمان او اكثر. فالمرأة التي لا ترضع طفلها قد تلد مرةً كل سنة فيضعف جسمها حالاً وتنتهك قواها واما التي ترضع اطفالها فلا تلد الاَّ مرةً كل سنتين او اكثر فلا تضعفها الولادة كثيراً . وعدم الارضاع يسبب في الغالب حمى اللبن وتشقق الثدي ونحو ذلك من الآفات التي لا تحدث لو كانت الام ترضع اطفالها . اما اذا كانت الام مريضة او ضعيفة جداً او كان لبنها قليلاً جداً او قليل التغذية فلا بدَّ حينئذٍ من مرضع آخر او من ارضاع الطفل بالرضَّاعة

واذا كانت المرأَة فقيرة فقد تهمل ارضاع طفلها وترضع بلبنها طفل امرأة غنية اي انها تعيش بلبنها وهذا خطأٌ كبير نتيجتهُ في الغالب موت طفلها ولقد احسن العرب حيث قالوا "تموت الحرَّة ولا تعيش بثدييها"

وقد تخطئ المرأَة فترضع طفلها اكثر مما يحتاج الى الرضاعة حتى لا يكاد ثديها يقع من فيهِ نهاراً وليلاً . وكلما بكى القمتهُ ثديها حاسبة ان بكاءهُ دليل جوعهِ مع انهُ قد يكون دليل كثرة ما رضعهُ او دليل البرد او دليل الحر او يكون ناتجاً عن دبوس غرز في لحمهِ او نحو ذلك من الاسباب الكثيرة التي يبكي الطفل منها . والام التي ترضع طفلها كلما بكى تضرهُ وتضرُّ نفسها

وفي الاشهر الثلاثة الاولى يكفي ارضاع الطفل مرةً كل ساعتين او ثلاث ساعات مدة النهار اما في الليل فلا يرضع مطلقاً الاَّ مدة الاسبوعين الاولين و بعد ذلك تصير الام ترضع طفلها الساعة العاشرة مساءً حينما تذهب لتنام وتتركهُ الى الساعة الثالثة او الرابعة صباحاً فترضعهُ حينئذٍ . والطفل يعتاد حالاً على طلب الرضاع في الاوقات التي تعوّدهُ عليها امهُ حتى اذا صار عمرهُ ثلاثة اشهر فاكثر يرضع مرة كل ثلاث ساعات او اربع مدة النهار لا غير ويبقى على ذلك الى ان يفطم

ولا يُطعَم الطفل شيئًا غير لبن امهِ الى ان يفطم . اما اطعام الاطفال من اطعمة والديهم وهم في الشهر الرابع او الخامس فخطأ كبير منهُ ضرر كثير قد يذهب بحياة الطفل

صبغات الشعر

صبغ الشعر الشائب عادة قديمة جدًّا جرى عليها اليونان والرومان وتابعهم فيها العرب ولكنها لم تبلغ في عصر من العصور ما بلغتهُ في هذا العصر من الشيوع والاتقان

وصبغات الشعر على نوعين كبيرين النوع الاول اساسهُ المواد النباتية كالعفص والجوز المقيء وقشر الرمان وهو غير ضار ولكن فعلهُ غير ثابت . والثاني اساسهُ المواد المعدنية كالجير (الكلس) والفضة والرصاص والحديد والكبريت وفعلهُ ثابت ولكنهُ ضار قليلاً او كثيرًا حسب نوعهِ وكيفية استعمالهِ واقلهُ ضررًا الحديد والكبريت

وكان اليونانيون يصبغون الشعر الاشقر حتى يسود بالهباب ممزوجًا بالدهن ثم صاروا يستعملون العفص والحديد . وكان الرومانيون يغلون العلَق (الدود) في الخل ويصبغون بهِ شعرهم

ومسلمو الهند يصبغون شعرهم بكبريتت الرصاص والانتيمون او الاسرب او باكسيد الحديد . وكثيرًا ما يصبغونهُ بالنيل يصنعون طلاءً منهُ يدهنون بهِ الشعر ويبقونهُ عليهِ ثلاث ساعات او اربعًا ثم يغسلونهُ عنهُ ويدهنونهُ بالزيت فيسود اسودادًا فاحمًا وهو خير صبغة للشعر لا ضرر منها

والتخضيب بالحناء معروف في كل البلدان الشرقية وهو كثير الاستعمال فيها على قدَم عهدهِ . ولون الشعر المخضب بالحناء احمر برتقالي. وعند الفرس مادَّة تسمى الرنك يدهن بها الشعر بعد تخضيبهِ بالحناء فيصير لونهُ اسود فاحمًا . ويغسل الجلد بين الشعر بالماء والصابون ويفرك جيدًا فيزول لون الخضاب عنهُ

ومن اقدم صبغات الشعر واشهرها الصبغة التي وصفها باولوس الاجيني الطبيب اليوناني الذي نشأ في القرن السابع للميلاد وهي عصير قشر الجوز الاخضر يضاف اليهِ نقط قليلة من زيت كبش القرنفل واوقية من الالكحول لكل رطل من العصير لكي لا يفسد . يدهن الشعر بهِ باسفنجة مرارًا حتى يسود . والظاهر انهُ يقوي الشعر ويرد لونهُ اليهِ لا انهُ يضيف اليهِ لونًا جديدًا

ومن الصبغات التي لا ضرر منها الصبغة التالية وهي تركَّب هكذا

زاج (كبريتات الحديد)	درهم
الكحول	٨ دراهم
زيت حصى اللبنى	١٢ نقطة
ماء نقي	٤٨ درهم

تمزج هذه المواد معًا ويدهن بها الشعر الشائب مرارًا. وهذه الصبغة تفيد لازالة القشرة ايضًا

ومنها الصبغة التالية وهي سائلان السائل الاول

شترات البزموث	٨ دراهم
ماء الورد	١٦ درهمًا
ماء مقطر	١٦ "
الكحول	٥ دراهم

امونيا كمية كافية

يدهن بهِ الشعر جيدًا في الصباح . والسائل الثاني

هيبو كبريتيت الصودا	١٢ درهمًا
ماء مقطر	٢٤ درهمًا

يدهن بهِ الشعر جيدًا في المساء . او يدهن الشعر بالسائل الاول وبعد ساعة يدهن بالسائل الثاني ولكن الدهن بالسائل الاول في الصباح والثاني في المساء على ما تقدَّم خير من الدهن بالواحد ثم بالآخر بعد ساعة فقط . ويحدث اللون الاسود من الفعل الكيماوي بين شترات البزموث وملح الصودا فيتكون كبريتات البزموث

صبغة نيترات الفضة

نيترات الفضة او حجر جهنم من اكثر المواد استعمالاً في صبغات الشعر والغالب ان يكون في الصبغة من خمس قمحات من حجر جهنم الى عشر لكل ثمانية دراهم من الماء ويدهن بها الشعر جيدًا ويترك حتى يجف في الشمس او في غرفة جافة الهواء معرَّضًا لنور الشمس

واذا اريد ان يسرع فعل هذه الصبغة يذاب درهم من كبريتت البوتاسا في ١٦ درهمًا من الماء ويدهن بهِ الشعر بعد دهنهِ بصبغة الفضة بدقائق قليلة

وتعاب صبغة الفضة لانها تصبغ الاصابع والجلد كما تصبغ الشعر ويمنع ذلك بدهن الشعر بفرشاة والاحتراس من وصول الصبغة الى الجلد على قدر الامكان . وسيأتي الكلام على بقية صبغات الشعر في الجزء التالي

دواء النمل

اجعل لخزانة الاطعمة اربع قوائم وضع تحت كل قائمة منها صحفة فيها رماد فلا يستطيع النمل ان يصل الى الخزانة وما فيها من الاطعمة ولابدَّ من ان تكون الخزانة غير لاصقة بحائط

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) العظام في الزراعة

البترون. نخله افندي زعني. عندي قدر عظيم من العظام جمعتهُ لتسميد الارض فماذا ينبغي ان افعل بهِ ليكون صالحًا لتسميد الارض باقل ما يكون من النفقة

ج كسروها او دقوها دقًّا ناعمًا وضعوا الرماد في شكل دائرة تسع العظام وضعوا دقيقها في هذه الدائرة وصبوا عليها خمس وزنها من الماء السخن وثلث وزنها من الحامض الكبريتيك (زيت الزاج الذي ثقلهُ النوعي ١،٧) وقلبوا دقيق العظام برفش الى ان يأخذ الفوران فيهِ فاتركوهُ بضعة ايام حتى يجف وان لم يجف ذروا عليهِ رمادًا او دقيق الفحم او نشارة الخشب حتى يجف ثم سمدوا بهِ الارض. وقد قلَّ استعمال العظام كذلك الآن فلا تستعمل الاَّ نادرًا لانهُ يمكن الانتفاع بها على اسلوب آخر قبل استعمالها سمادًا اما بنزع الغراء منها او بتكليسها ونزع الزيت منها واستعمال مكلسها في قصر السكر واخيرًا تستعمل سمادًا. وقد وُجد في الارض مادة طبيعية رخيصة تقوم مقام العظام تمامًا اذا عولجت بالحامض الكبريتيك

(٢) الالقاب العلمية

المنصورة. ابرهيم افندي زكي. نرى بعض الكليات في اوربا يمنح القاب الدكتورية في علوم لاشخاص من ذوي المكانة العالية ممن لم يسبق لهم درس تلك العلوم فما قصد تلك الكليات من هذا العمل

ج لا نعلم انها تمنح القاب الدكتورية في شيءٍ من العلوم الخصوصية الاَّ للذين درسوا تلك العلوم فلا تمنح مثلاً لقب دكتور في الطب الاَّ لمن درس علم الطب ولا لقب دكتور في الموسيقى الاَّ لمن درس علم الموسيقى او برع فيهِ ولا لقب دكتور في العلوم الاَّ لمن درس العلوم الطبيعية واشتغل بها زمانًا ولا لقب دكتور في الفلسفة الاَّ لمن درس العلوم بنوع عام واشتغل بها ولكنها تمنح رتبة دكتور في الشرائع او في الشرائع المدنية للمشهورين مهما كانت شهرتهم ولو كانوا قواد حرب وهو اصطلاح لا نزاع فيهِ والغرض منهُ الاعتراف

با تياز الذين تمنحهم هذه الرتبة

(٣) شيوع الجرائم

ومنهُ . ماذا ترون في شيوع الجرائم عندنا وتفنُّن المجرمين في كيفية ارتكابها فهل ينسب ذلك الى جهل العامة او الى اسباب أُخرى

ج ان الجرائم غير شائعة شيوعًا غير عادي في هذا القطر ولا اصحابها يتفننون تفنُّنًا غير عادي في ارتكابها على ما نعلم . والظاهر ان القسوة خُلُق قديم في الانسان لم يُزل منهُ تمامًا حتى الآن فيظهر في بعض افرادهِ شديدًا ويحملهم على ارتكاب الموبقات ويقال انهُ يكون فيهم خلقًا فطريًّا لا يمكن نزعهُ منهم ولا ردعهم عنهُ الاَّ بالسجن المؤبد او بالاعدام

(٤) تغير اقليم مصر

ومنهُ . تدلُّ الدلائل الحاضرة على ان مناخ مصر تغير فتحوَّل الى البرودة في الصيف فهل تستنتجون من ذلك انهُ سيأتي وقت ينقلب فيهِ هواء مصر فيشبه هواء اوربا

ج ما هي الدلائل عندكم التي تدل على ان مناخ مصر تغير. فاننا لم نرَ شيئًا منها ولم نسمع عن دليل منها بل ان الارصاد الجوية من ايام الفرنسوية الى الآن تدلُّ على ان حرارة مصر لا تزال على حالها تمامًا ومتوسط ما يقع فيها من المطر لا يزال على حالهِ . ولا ندري كيف يثب الناس الى النتائج وثبًا من غير استقراء ولا تروٍّ فاذا جاء يوم شديد الحر في فصل الشتاء قالوا قد انقلبت الفصول وصار الشتاء صيفًا . واذا جاءهم يوم معتدل الحر في فصل الصيف قالوا قد تغير هواء البلاد ولم يعدْ حارًّا كما كان . ولا يستحيل ان يتغير اقليم بلاد فيصير معتدلاً بعد ان كان حارًّا او يصير باردًا بعد ان كان معتدلاً ولكن ذلك لا يتمُّ الاَّ في مدة الوف من السنين. ولا يوجد اقل دليل على ان اقليم القطر المصري تغير من ايام البطالسة الى الآن

(٥) المؤلفات المفيدة

ومنهُ . الى اي شيء تعزون قلَّة ما يظهر من المؤلفات المفيدة الحاوية آراء رجال العلم من المصريين . ومتى يقلع بعض المتصدين للتأليف والترجمة عن تعريب ما لا ينفع من كتب الغربيين ورسائلهم

ج نقول جوابًا عن القسم الاول من سؤالكم ان قلة المؤلفات المفيدة ناتج عن قلة العلم وقلة انتشارهِ في البلاد فلو كان سبعون او ثمانون في المئة من اهالي القطر المصري يعرفون القراءة والكتابة وجانب كبير منهم تعلم في المدارس العالية لدعت الحال الى تأليف كثير من الكتب المفيدة لأن الكتب بضاعة والبضاعة تصنع وتروج متى كثر الطلب عليها فهي تابعة لناموس التجارة العام القاضي بان تجهيز المواد يكون على حسب الطلب . ونقول جوابًا عن القسم الثاني ان ما يترجم وينشر يختلف نوعهُ باختلاف ما تطلبهُ الامة

فاذا كانت تطلب كتب الروايات والمجون وتبارى فيلسوف وماجن في التاليف فكتب الفيلسوف تكسد ويأكلها العث والفار وكتب الماجن تروج و تنفق فيخسر الاول ويبطل التأليف ويكسب الثاني ويُكثر منهُ فتكثر كتب المجمون طبعاً وهذا الداء منتشر عند الاوربيين كما هو منتشر عندنا ففي مجلة العلم الاميركية سبع مئة مشترك لاغير وكتَّاب مقالاتها اكبر علماء اميركا ومن اكبر علماء الارض طرّاً. وفي بعض المجلات الفكاهية اكثر من خمس مئة الف مشترك مع ان كتَّابها من الطبقة الثانية او الثالثة . ويُطبع الف نسخة من كتاب في العلم او الفلسفة فلا تباع في عشر سنوات ويُطبع خمسون الف نسخة من رواية فكاهية فتباع في اقل من شهر . الاَّ ان البلدان الاوربية والاميركية تداوي هذا الداء بطبعها الكتب العلمية الكبيرة على نفقة الحكومة وتوزيعها على المكاتب العمومية مجاناً حتى لا تكون النفقات مانعاً يمنع طبعها ونشرها . وتدفع للعلماء اجوراً طائلة لكي يجولوا في المدن ويخطبوا الخطب العلمية على جماهير الناس

(٦) تولستوي والثورة الروسية

ومنهُ . هل تظنون ان الثورة التي توشك ان تتقد في روسيا تكون مثل الثورة الفرنسوية وما رأيكم في تولستوي موقد جذوتها ومذكي لهيبها وفي مبادئهِ السياسية والادبية

ج اما الثورة فلا نظن انها تنتشر في روسيا لان حكومة الروس متحوّطة لها والروس اقل تهوُّراً من غيرهم وهم يكرمون القيصر الى حد العبادة الاَّ طائفة النيهلست منهم . واما تولستوي وآراؤهُ فقد كتبنا عنهُ وعنها مقالة في صدر هذا الجزء سنردفها بمقالات اخرى نشبع الكلام فيها على هذا الموضوع

(٧) خطر سكك الحديد

ومنهُ . قدَّر بعضهم ان الاخطار الناشئة عن السفر في سكك الحديد اقل من الاخطار الناجمة عن الجلوس في المآدب او الوقوف على المنابر فهل ترون هذا القول صواباً

ج كلاَّ لان الذين يموتون في المآدب وعلى المنابر موتهم طبيعي واما الذين يقضى عليهم في سكك الحديد فان كان موتهم طبيعياً فلا حساب لهم وهم مثل سائر الناس الذين يدركهم الموت اينما يكونون وان كان غير طبيعي اي حادثاً من اصطدام او نحوهِ فعددهم مهما كان قليلاً هو زيادة في عدد الوفيات الطبيعية

(٨) قبر موسى

مصر . احد المشتركين . اين يوجد قبر النبي موسى وفي اي بلاد مات

ج جاء في الاصحاح الاخير من اسفار موسى الخمسة ان موسى "مات في ارض موآب ودفنهُ الله في الجواء في ارض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبرهُ الى

هذا اليوم " اما ارض موآب فشرقي الاردن وبحيرة لوط

(٩) شكل الصينيين

ومنهُ . لماذا يختلف الصينيون عن الشرقيين والغربيين شكلاً ولونًا وعادات

ح لانهم انفصلوا عن سائر اصناف الناس منذ ادهار طويلة ولم يعودوا يمتزجون بغيرهم . فاذا طال انفصال صنف من اصناف الحيوان عن بقية اصناف نوعهِ ومرَّت عليهِ السنون الطوال لم يبعد ان تتولَّد فيهِ اختلافات جديدة ترسخ فيهِ مع الزمان وتبعدهُ عن بقية اصناف نوعهِ وهذا يصدق على الشكل واللون والعادات

(١٠) القهوة

ومنهُ . من استعمل القهوة اولاً

ج من المؤكد ان القهوة لم تكن معروفة عند اليونانيين والرومانيين وان الاحباش عرفوها من عهد قديم جدًّا لا يعلم تاريخهُ وان العرب عرفوها قبل القرن الخامس عشر وهذا كل ما يعلم عن قدم تاريخها

(١١) اطعمة الصين

ومنهُ . قرأت في جريدة الصباح كلامًا لاحد السياح قال فيهِ ان اهل الصين دعوهُ الى عشاءٍ كان طعامهم فيهِ من عقارب البحر وكلب مشوي وفار مقلي فعلى مَ لا يموتون من هذه المآكل

ج لان اكلها لا يميت فان لحم عقرب البحر طيب لذيذ ولحم الكلب ولحم الفار مكروهان عندنا ولكن لا دليل ان فيهما شيئًا من السم المميت بل ان الذين يحصَرون في المدن ويعوزهم الطعام يأكلون لحم الكلاب والفيران كما لا يخفى . وقد كان العرب يأكلون السنانير والعقارب والجرذان واليرابيع والضباب والزنابير والبراذين والافاعي والديدان . انظر مقالة موضوعها " ما تأكل العرب من اللحوم " نشرت في الجزء الثالث من المجلد ٢٢ من المقتطف

(١٢) اتصال القمر بالارض

سان باو بالبرازيل . الخواجه نسيم خوري . قرأت قولاً لبعض العلماء مفادهُ ان القمر والارض كانا متصلين ثم انفصل القمر عن الارض لاسباب طبيعية واخذ في الابتعاد عنها رويدًا رويدًا فهل هذا القول صحيح وما هي الادلة على صحتهِ

ج يقول بعض العلماء انهُ صحيح وقد اوردنا بعض ادلتهم عليهِ في مقالة للاستاذ جورج دارون بن دارون الشهير نشرناها في الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين فعليكم بمطالعتها

(١٣) الغل والفظ والبنغوين

القناطر الخيرية . نسيم افندي فهمي . ما هو الغل والفظ والبنغوين المذكورة في سياق الحديث عن الرحلة الى القطب الجنوبي في عدد شهر ابريل هذه السنة

ج الغل Gull اسم انواع مختلفة من طيور البحر يطلق عليها باللاتينية اسم لاروس ونظن ان كلمة رخ العربية مأخوذة منها ولم نترجمها بها لئلاَّ يسبق الوهم الى ما وُصف بهِ الرخ في كتب العرب من ان طول جناحهِ الواحد عشرة آلاف باع . والفقظ الحيوان البحري المسمَّى Seal وقد تابعنا في ترجمتهِ كذلك استاذنا الدكتور ڤان ديك واسمهُ باللاتينية فوسيدي . والبنغوين اسم طائر آخر من طيور البحر لا يطير لقصر جناحيهِ

(١٤) نزع ثلثي الامعاء

ومنهُ . كيف يعيش الانسان بعد نزع ثلثي امعائهِ حالة كون الخالق لو لم يعرف اهمية لزوم اقل عضو او عرق في الانسان ما كان خلقهُ فيهِ

ج اما قولكم كيف يعيش الانسان لو نزع ثلثا امعائهِ فجوابهُ انهُ يعيش بان الثلث الباقي يقوم بما يحتاج اليهِ الجسم من الهضم والامتصاص كما اذا قطعت يد انسان لا يموت بل يقضي حاجاتهِ بيدهِ الاخرى وقد تقطع يداهُ ورجلاهُ ولا يموت اذ يستغني عنها بوسائط اخرى. واما قولكم ان الخالق لو لم يعرف اهمية لزوم اقل عضو او عرق في الانسان ما كان خلقهُ فيهِ فجوابنا عنهُ اننا ننظر فيهِ اذا ثبت لنا ان الخالق اخبر احداً بما يقصدهُ من خلقهِ . ولا نفهم كيف يكذب المرء نظرهُ ولمسهُ وينفي صحة ما يراهُ بعينيهِ ويلمسهُ بيديهِ فيقول مثلاً ان الرجل لا يستطيع ان يحلق لحيتهُ ويبقى حيًّا لانهُ لو لم تكن اللحية لازمة لحياتهِ ما خلقها الله . ولا يستطيع ان يقلم اظافرهُ ويبقى حيًّا لانهُ لو لم تكن الاظافر الطويلة لازمة لحياتهِ ما خلقها الله وهو يرى الناس يحلقون لحاهم ويقلمون اظافيرهم كل يوم

والذي عرفهُ الناس بالاختبار حتى الآن ان من الاعضاء ما هو رئيسي لا بدَّ منهُ لحياة الجسم كالقلب والرئتين والكليتين فاذا نزع زالت الحياة ومنها ما يمكن الاستغناء عنهُ كاليدين والرجلين فيمكن قطعهُ ولا تزول الحياة . وكان المظنون ان المعدة من الاعضاء الرئيسة التي لا يمكن الاستغناء عنها فنزعت الآن من بعض الناس وبقوا احياء فثبت انهُ يمكن الاستغناء عنها . ومن الاعضاء الرئيسة ما يمكن الاستغناء عن بعضهِ فيمكن مثلاً الاستغناء عن بعض الرئتين وعن كلية من الكليتين وعن جانب كبير من الامعاء وهلمَّ جرًّا

الخزان والفيضان

مصر . حنا افندي بحري . هل يبقى ارتفاع ماء الفيضان فوق القناطر الخيرية بعد اتمام الخزان على ما هو عليهِ الآن . الجواب نعم لان الخزان لا يُسَدُّ وقت الفيضان بل بعد ان يبلغ حدهُ ويهبط لان ماء الفيضان يكون كثير الطمي فاذا خزن ملأ طميهُ ما فوق الخزان

باب الاخبار العلمية

اقوى المطهرات

ابنا غير مرة ان الاكسجين الممزوج بماء الانهر يطهرها من جراثيم الفساد التي تصل اليها. ويكون فعل الاكسجين على اشدهِ حينما ينفصل عن مادة كان متحدًا بها . وقد وردت الانباء عند كتابة هذه السطور بان الاستاذ نوفي والاستاذ فرير من مدرسة مشيغان الجامعة باميركا اكتشفا انهُ اذا وضع قليل جدًّا من اعلى اكسيد البنزولكتيل Benzolactyl hyperoxide في الماء ينحل الاكسجين منهُ حالاً وامات الميكروبات التي في ذلك الماء وامات ايضاً جراثيمها وهذه المادة لا تضرُّ بالحيوان ولو كانت جرعتها كبيرة

الحرُّ ولون الفراش

بحث المسيو ستندفس من علماء زورك في طبائع الفراش فوجد ان الوانهُ تتغير حسب تغير الحر والبرد فاذا اشتدَّ عليهِ البرد حينما يولد صار لونهُ مثل لون الفراش المتولد في لابلندا او غيرها من الاصقاع الشمالية واذا اشتد الحرُّ ولدهُ مثل الفراش المتولد في سورية وكورسكا

مخازن الكهربائية

لايخفى ان الكهربائية تخزن احيانًا في بطريات الى حين استعمالها . وقد شاع في هذه الاثناء ان اديصن الكهربائي الاميركي المشهور استنبط مخازن جديدة للكهربائية تزيد قوتها ضعفين او ثلاثة على قوة المخازن المستعملة حتى الآن فان المخزن العادي يخزن فيهِ من القوة الكهربائية ما يرفعهُ عن الارض ميلين الى ثلاثة اميال ولكن المخزن الذي استنبطهُ اديصن يخزن فيهِ من القوة الكهربائية ما يرفعهُ عن الارض سبعة اميال . وتطول مدة تفريغ الكهربائية منهُ الى ثلاث ساعات ونصف ساعة ويمكن تفريغها في ساعة واحدة فتكون شديدة الفعل جدًّا وكذلك يمكن املاؤُهُ في ثلاث ساعات ونصف او في ساعة واحدة

ولم يكد اديصن يكشف سر استنباطهِ في الشهر الماضي حتى استنبط رجل اميركي آخر اسمهُ ولتر ستروجر مخزنًا آخر يملأ كهربائية في نصف ساعة فقط ويمكن ان يخزن فيهِ من الكهربائية اكثر كثيرًا مما يخزن في مخزن اديصن حتى لو خُزنت كهربائيتهُ في مخزن اديصن لاذابتهُ . وقد طُلب منهُ ان يصنع مخزنًا كبيرًا يكفي لجر قطار الاكسبرس من مدينة روتشستر الى نيويورك مسافة ٣٠٠ ميل . فاذا ثبت ذلك استفادت مصر منهُ

فائدة لا تقدَّر لانها تصير تجمع الكهربائية من خزان اصوان وتسيِّر بها قطراتها شمالاً وجنوباً

كسوف الشمس

كسفت الشمس في ١٨ مايو الماضي كسوفًا كليًّا وراقبها الرصد الذين ذهبوا لمراقبتها من اوربا واميركا وكانت السماء غائمة في بعض الاماكن ولكن ظهر الكسوف جليًّا في غيرها وبان الاكليل جيدًا وطالت مدة الاختفاء اكثر من ست دقائق وسياتي تفصيل ذلك

التلغراف الاثيري

كان التلغراف الاثيري يُمتحن على سواحل مالطة فوصلت الى آلتهِ رسالة ايطالية ظهر انها مرسلة من سيراقوسة في صقلية على مسافة ١٣٤ ميلاً ولا بدَّ من مرورها فوق جانب من البر قبل وصولها الى مالطة فثبت من ذلك ان الانباء البرية تنقل اكثر من مئة ميل من غير سلك معدني

اتومبيل الشاه

صنع معمل في بلجكا اوتومبيلاً لشاه ايران بلغ ثمنهُ ٤٠٠ جنيه وهو من نوع اللاندو يسع خمسة اشخاص مبطن بالحرير الرمادي ومدهون دهانًا ازرق معلمًا بالذهب وعجلاتهُ حمراء اللون وعلى فانوسيهِ شعار ايران الاسد والشمس وعلى المركبة اسم جلالة الشاه يحيط بهِ غصنان من الغار والسنديان

نول السجاجيد

السجاجيد العجمية تصنع باليد كما لا يخفى والصانع الماهر لا يصنع في يومهِ اكثر من مترين مربعين منها مهما اجتهد لكن احد الاوربيين استنبط نولاً تحاك بهِ السجاجيد العجمية والرجل الواحد يصنع بهِ ٣٥ مترًا في اليوم من السجاد الجميل الذي لا يفرق عن اجود انواع السجاد العجمي. ويقال ان سنديكاتًا انكليزيًّا اشترى امتياز هذا الاختراع من صاحبهِ لكي يستعملهُ

دفع الخطر من اسلاك الترامواي

لما عزمت شركة الترامواي على مد اسلاكها في شوارع القاهرة اعترض البعض عليها ان اسلاك التلفون قد تنقطع وتقع على اسلاك الترامواي حتى اذا وصل طرف السلك المقطوع الى انسان او حيوان قتلهُ كما حدث بالامس في فرس وقع عليهِ سلك التلفون فقتلهُ لانهُ نقل اليهِ كهربائية الترامواي. وقد قرأنا الآن في الجرائد الانكليزية ان المستر كوين Quin المهندس الكهربائي في بلاكبول Blackpool ببلاد الانكليز استنبط مفتاحًا يتصل بالاسلاك الكهربائية حتى اذا انقطع سلك منها منع سير الكهربائية عليهِ من نفسهِ فيزول كل خطر من الاسلاك الكهربائية التي تستعملهُ سواء كانت للترامواي او للتلفون. فعسى ان تهتم الحكومة المصرية بهذا

الامر وتطلب من شركة الترامواي استعمالهُ

السفن الغوّاصة

سار رئيس الجمهورية الفرنسوية واثنان من وزرائهِ في سفينة غوّاصة وبقيا فيها ساعة ونصفاً قضيا اكثرها تحت الماء

الافعى بدل الهر

يربي اهل مانلا الافاعي في بيوتهم بدل القطط لتأكل الفيران والجرذان . قالت احدى السيدات الاميركيات سمعتُ اول ليلة نمت فيها في مانلا (عاصمة جزائر فيلبين) صوت جرذ ثم سمعت فحيح افعى فصات الجرذ وجلدت الافعى الارض لما امسكتهُ والتفّت عليهِ ثم جعلت تبتلعهُ فصرختُ مذعورة وفي اقل من دقيقة امتلأَت غرفتي بالخدم فاطمأَن بالي وعلمتُ حينئذٍ ان الافعى في هذه البلاد كالهر عندنا . والحشرات والهوام كثيرة في مانلا لا يخلو منها بيت ولا سيما النمل فانهُ يكاد يملأُ البيوت فلا عجب اذا استشفي اهاليها من داءٍ بداءٍ ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

نمو الممالك بالتجنُّس

تنمو الممالك بالولادة وبالتجنس واحوجها الى التجنس الممالك الجديدة والبلدان الحديثة العمران كالولايات المتحدة الاميركية فانها لولا تسهيل التجنس على المهاجرين اليها ما بلغ عدد سكانها الآن عشر ما بلغ ولا بلغت ثروتهم عشر عشر ما بلغت . وقد بحث الاميركيون بالامس عن اصل ٤٠٩٩ ضابطاً من ضباط بوارجهم فوجدوا ٥٧ في المئة منهمْ من المولودين في اميركا و ٣٤ في المئة من الذين تجنسوا بالجنسية الاميركية وهم غير مولودين في اميركا وستة في المئة من الذين اظهروا رغبتهم في التجنس بالجنسية الاميركية والباقون اما غرباءُ قاطنون في الولايات المتحدة او غير قاطنين فيها . وطلب النمو ومنع التجنس لا يجتمعان

قدور الاليومنوم

ثبت بالامتحان ان قدور (حلل) الاليومنوم اربح في الاستعمال من قدور النحاس فانهُ يتوفر بها ٤٥ في المئة من الوقود على ما في جريدة السينتفك اميركان

العلم عبد الحاجة

انشئت خطوط الترامواي الكهربائي في مدينة لندن منذ بضعة اشهر ولكن رؤساء المرصد الفلكي في كو اعترضوا عليها ومنعوا استعمالها قائلين ان كهربائيتها تؤثر في آلات الرصد فيبطل تدقيقها . ورُفعت المسألة الى لجنة من المتحكمين فبحثت ووجدت ان اعتراض رؤساء المرصد في محلهِ ولكن اهالي المدينة يحتاجون الى الترامواي الكهربائي ولا بدَّ لهم منهُ لتسهيل الانتقال فتم الاتفاق اخيراً على نقل المرصد الى مكان آخر لا يصل اليهِ فعل

الكهربائية وان شركة الترامواي تدفع نصف ما يلزم لنقلهِ من النفقات

عربات الاتوموبيل

يظهر لنا انهُ لا يمضي وقت طويل حتى تقوم عربات الأُتوموبيل مقام عربات الخيل والبغال في كل مكان في المدن والقرى حتى في البلدان القاصية سواء كانت العربات للركوب او للنقل . فان الدوائر الحربية في اوربا واميركا تمتحن الآن استعمال الاتوموبيل لنقل الزاد والمدافع والمرضى ولكل ما كان يُنقَل بعربات الخيل والبغال . وقد أُلفت الشركات في المدن الكبيرة لاستعمال مركبات الاتوموبيل بدل اومنيبوس الخيل وسكك الحديد في المدن وضواحيها وهم يحسبون انها تجري عشرين ميلاً في الساعة وتقف حالاً لاخذ الركاب في اي مكان كان . وقد شاهدنا هذه المركبات تصعد في سكك الجبال في بلاد سويسرا وصعودها فيها اسهل من صعود مركبات الخيل . ولا يبعد ان تؤَلف شركات في هذا القطر والقطر السوري لاستعمال عربات الاتوموبيل للركوب والنقل بدل عربات الامنيبوس و بدل قوافل الجمال والبغال

سعوط الكوكايين

شاع استعمال الكوكايين سعوطاً في اميركا الجنوبية فيتسعط بهِ زنوجها فيفعل بهم فعل الافيون . وكأَن يقظة الحياة عبءٌ ثقيل على بعض الناس فيطلبون السكرة منها كيفما كان

تنشيط الصنائع

في جزيرة زيلندا الجديدة التي كان اهاليها يأكلون بعضهم بعضاً منذ سنين قليلة مناجم غنية بالحديد وقد ارادت حكومتها الآن ان تغري الشركات الصناعية باستخراج الحديد منها فوعدت باعطاء عشرين الف جنيه للشركة التي تستخرج منها عشرين الف طن من الحديد مشترطة ان لا يكون رأس مال هذه الشركة اقل من مئتي الف جنيه ولكنها اشترطت على نفسها ايضاً ان تبتاع من الشركة خمسين الف طن من الحديد الذي تستخرجهُ بثمن يزيد على ثمنهِ في السوق والغرض من ذلك ان يصير الحديد المستخرج في تلك المستعمرة كافياً لحاجة سكانها حتى لا يجلبوا الحديد من مكان آخر . هكذا هكذا تنشط الصنائع لا كما فعلت حكومة مصر حديثاً لمنع انشاء المعامل في بلادها

الصنائع في اليابان

يظهر ان ارباب الصنائع في اوربا واميركا يخافون مناظرة اليابان لهم اكثر مما يخافون اية مناظرة اخرى لرخص اجرة العمال في اليابان فان الساعة تصنع الآن فيها باربعين غرشاً والبيسكل بمئتين واربعين غرشاً والبيانو

المتقن بالفي غرش ومعامل الغزل والنسج فيها تدور ٢٢ ساعة كل يوم لكثرة الطلب عليها. ذلك كلهُ والمعامل الاوربية تخرج العمال لقلة الاعمال حتى يقال ان معمل كروب المشهور في المانيا اخرج من عمَّالهِ اربعة آلاف عامل منذ شهر اكتوبر الماضي

الكماتوغراف

استنبط رجل من سكان لندن اسمهُ ليو كام اسلوبًا جديدًا لتصوير الصور المتوالية التي تظهر الاعمال والحركات في السيناماتوغراف وذلك انهُ يضع في آلة التصوير لوحًا زجاجيًّا مستديرًا يدور فيها دورانًا حلزونيًّا امام العدسية التي يدخل النور منها فترتسم عليهِ صور متوالية في شكل حلزوني الواحدة بعد الاخرى حتى يمتلئ منها ثم تظهر الصور عليهِ كما تظهر عادةً ويوضع امام الستار الذي تلقى عليهِ الصور مكبرة ويدار بالسرعة التي أُدير بها وقتما اخذت الصور عليهِ فتظهر الصور على الستار متحركة كما كانت تتحرك وقتما صوّرت. ويؤخذ على اللوح الواحد ستمئة صورة في دقيقة من الزمان اي ١٢ صورة في الثانية الواحدة

العدوى من دكان الحلَّاق

لم تبقَ شبهة في ان دكان الحلَّاق (المزين) مسؤول عن كثير من الآفات الجلدية كالحزاز والبهق وداء الثعلب والصلع وما اشبه . وقد رأى بعض الحلَّاقين في باريس ان لا يبقوا سبيلاً للشكوى منهم فصنعوا الامشاط من المعدن ووضعوا مصباح غاز امام كل كرسي فيشعلون الغاز ويجيزون فيهِ المشط والموسى والمقراض قبلما يستعملونها ويصنعون سائلاً من التيمول يميت الميكروبات يجيزون فيهِ البرش قبلما يستعملونهُ فلا يبقى سبيل للخوف من العدوى

التلسكوب الاكبر

التلسكوب الاكبر حتى الآن تلسكوب معرض باريس الذي وصفناهُ وصورناهُ غير مرة في المقتطف لكن الاميركيين يأبون الاَّ ان يكونوا فوق غيرهم في كل مأثرة ومفخرة . ومتى وُجد المال والعقل وجد كل شيء فقد قرأنا الآن ان احد اغنيائهم عرض على قداسة البابا ان يهدي اليهِ تلسكوبًا يكون اكبر من تلسكوب معرض باريس يوضع في مرصد رومية فقبل البابا هذه الهدية ولم يبقَ الاَّ ان يصنع التلسكوب ويقام في المرصد الغريغوري اقدم مراصد اوربا

الجرذان والطاعون

قال المستر غراهم في التقرير الذي نشرناهُ في هذا الجزء عن الطاعون "والاولى ان تعدَّ الجرذان في جملة الحيوانات التي يفتك الطاعون بها كما يفتك بالناس لا ان يحسب

لها شأن كبير في تولد الوباء ونقلهِ ونشرهِ" . لكن الثقات الباحثين في هذا الموضوع يقولون الآن قولاً واحدًا وهو ان للجرذان شأنًا كبيرًا في انتشار الطاعون فان الجرذ السليم يتفلى من البراغيث فلا تكثر في بدنهِ ولكنهُ اذا مرض بالطاعون كثرت فيهِ البراغيث حتى اذا مات و برد جسمهُ هجرتهُ وطارت الى جرذ آخر او الى الانسان ونقلت اليهِ العدوى وطعمتهُ بها تطعيمًا

آلة الكتابة العربية

نبشر ابناء العربية ومتعلميها انهُ قد صُنعت آلة للكتابة تكتب الحروف العربية متصلة كأَنها حروف طبع عادية . والسرُّ فيها ان "ربَط" الحروف جُعل كلهُ بعدها لا قبلها ومستنبط ذلك المصور الماهر الخواجه سليم حداد فقد جاءنا منذ سنة من الزمان واطلعنا على سرّ اكتشافهِ فرأَينا حالاً انهُ حلَّ عقدة كبيرة واكتشف اكتشافًا نافعًا جدًّا في علم سبك الحروف العربية لانهُ يقلل صورها ويجعل آلة الكتابة العربية من الممكنات فسجل الاكتشاف باسمهِ ومضى الى اميركا حيث تصنع آلات الكتابة واتفق مع معمل منها على عمل الآلات التي يطلبها . وبعد عناءٍ كثير ونفقات طائلة قام بها سعادة السري ادريس بك راغب عاد بآلة منها مثالاً ودعا بالامس جمهورًا من ارباب الصحف العربية ووجهاء العاصمة الى منزلهِ واراهم اياها واستعملها امامهم وطلب منهم ان يستعملوها هم فكتبنا بها حالما رأَيناها ولم نكن قد كتبنا بآلة قبلها لا عربية ولا افرنجية . وحروفها جميلة مثل الحرف الاسلامبولية نقطها فيها ومعها الارقام الهندية والاهلَّة وعلامات الاقتباس والوقف ومفاتيحها مع ذلك قليلة العدد اقل منها في آلة الكتابة الافرنجية

وقد اجمع الذين رأَوها معنا على ان حروفها كبيرة نوعًا لانها تظهر كالحروف التي في عنوان هذه النبذة وان فسحاتها عريضة فلا تدمج الكتابة فيها وارتأَوا ان تصغر حروفها قليلاً وتضيَّق فسحاتها حتى تقضى بها حاجة الكتَّاب والتجَّار فاستحسن المخترع رأْيهم وعزم على ان يرسل الى المعمل يطلب الآلات صغيرة الحروف ضيقة الفسحات حتى تكون حروفها مثل حرف المقتطف او اكبر قليلاً

ولا بدَّ من ان تلقى هذه الآلة شيئًا من المقاومة في اول الامر كما لقيت آلات الكتابة الافرنجية فقد بلغنا ان الدوائر السياسية الاوربية كانت ترفض كل كتابة تقدَّم اليها مكتوبة بآلة الكتابة اما الآن فانقلب الامر الى ضدّهِ وصارت تأْمر بان كل ما يقدَّم اليها يقدَّم مكتوبًا بآلة الكتابة وإلاَّ أُهمل

فهرس الجزء السادس من المجلد السادس والعشرين

٤٨١ الكونت تولستوي الروسي (مصوَّرة)

٤٨٩ مستقبل الصين

بقلم جناب الامير شكيب ارسلان

٤٩٧ عمران دمشق

بقلم جناب محمَّد افندي كرد علي

٥٠٥ ألعمي يبصرون

٥١٠ الطاعون

٥١٦ رواية امينة

٥٢٦ آلات الطيران (مصوَّرة)

٥٢٩ القلب الكسير

لواشنتون ارفن الكاتب الاميركي

٥٣٤ سجون المغرب الاقصى

---

٥٣٧ باب المراسلة والمناظرة * قاموس الجغرافية القديمة · التساهل الديني · حاضر المصريين او سر تأخرهم

٥٤٤ باب الزراعة * زراعة القطن في مصر · تجر السكر · موسم الحرير في الدنيا · موسم بزر الكتان · احصاء القطن . الاهتمام بحراج السودان · احصاء السكر

٥٥٣ باب الصناعة * معامل القطن · عدد مغازل القطن في الدنيا · زيت اوراق الصنوبر · الصنائع وتعضيدها · المعرض الصناعي

٥٥٧ باب التقريظ والانتقاد * السياسة الشرعية · الدليل العصري للقطر المصري · كتاب مظلوم · كتاب المنهاج الجلي في واجبات الصيدلي · حفظ الصحة المتزوج والعازب

٥٦١ باب تدبير المنزل * الاسنان وعسر الهضم · غذاء الطفل · صبغات الشعر · صبغة نيترات الفضة · دواء النمل

٥٦٥ باب المسائل * العظام في الزراعة · الالقاب العلمية · شيوع الجرائم · تغير اقليم مصر · المؤلفات المفيدة · تولستوي والثورة الروسية · خط سكك الحديد · قبر موسى · شكل الصينيين · القهوة · اطعمة الصين · اتصال القمر بالارض · الغل والفظ والبنغوين · نزع ثلثي الامعاء · الخزان والفيضان

٥٧٠ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢٢ نبذة